المختار الإسلامى

مجلة كل المسلمين

د. رمضان عبد الله

أمين عام حركة الجهاد

العنف بالعنف !!

قادة حماس والجهاد يرفضون بيان عرفات

حسين عاشور

شبكة المعلومات الدولية الرابعة "إسلام ويب" تجرى حوارا مع الأستاذ : حسين عاشور

محمد يوسف عدس

محمد يوسف عدس خبير اليونسكو يكتب من استراليا :

المسلمون الذين أسهموا فى نهضة استراليا ثم انقرضوا

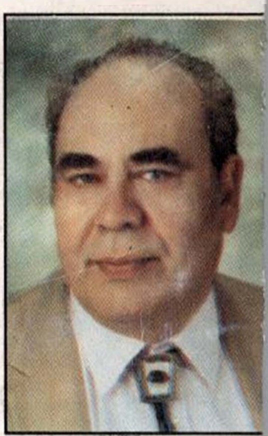

د. عبد الفتاح الحسينى

د. عبد الفتاح الحسينى يكتب من الولايات المتحدة :

مزراب الأموال المهاجرة

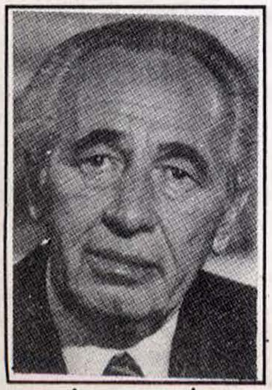

شيمون بيريز

هذا هو الإرهاب ... قانا وأخواتها

العدد ٢٣١ - السنة ٢٣ - غرة ذو القعدة ١٤٢٢هـ - ١٥ يناير ٢٠٠٢م - الثمن ثلاثة جنيهات

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة المحرر

الهند وباكستان .. هل تفتح الحرب الرابعة ؟

التحركات الهندية الأخيرة والحشود العسكرية التى تقوم بها الهند على الحدود مع باكستان وكذا الضغط السياسى الكثيف الذى تقوم به الهند على باكستان واتهامها بتشجيع الإرهاب وبالتالى وضعها فى موضع الدفاع عن النفس بالتخلى عن المقاومة الكشميرية .. هذه التحركات الهندية بالطبع جاءت فى وقت دقيق جدا ، حيث أن المسلمين متهمون حاليا بالإرهاب والضغط الأمريكى والعالمى فى هذا الصدد يخدم الهند ، وبرغم أن الحكومة الباكستانية فعلت كل ما طلبته أمريكا منها وأكثر فى الحرب ضد أفغانستان إلا أن ذلك لم يشفع لباكستان ، ولم يجعل الإدارة الأمريكية تنظر بعين العطف لقضية الشعب الكشميرى المكلوم والذى يطالب بالاستقلال عن الهند - وهو الحق الذى أيدته قرارات الأمم المتحدة منذ أكثر من خمسين عاما ، ولكن الإدارة الأمريكية انحازت للتحالف مع الهند وتريد تحويل هذا التحالف إلى تحالف استراتيجى بين الولايات المتحدة والهند وروسيا على حساب باكستان ، وعلى حساب قضية كشمير ، وعلى حساب المبادئ .. وهكذا فإن الحرب الرابعة يمكن أن تقع لأن الهند تريد أن تستفيد من الفرصة السانحة ، ولأن حكومة باكستان قد أخذت جزاء سنمار بعد كل ما قدمته من خدمات للولايات المتحدة الأمريكية فى الحرب ضد طالبان .

المختار الإسلامى

السلام عليكم

هل يتحول عرفات إلى جلاد لشعبه

المبادرة سيئة الصيت والسمعة والتى أطلقها ياسر عرفات يوم العيد فى خطبته الموجهة باللغة العربية - كشرط لشارون .. فقد اشترط شارون أن تكون الخطبة باللغة العربية - وكان شارون قد راجع النص الأصلى للخطبة وأقرها قبل إلقائها بأربع ساعات كاملة .

هذه المبادرة التى تتحدث عن وقف العنف من جانب واحد ، وترك إسرائيل تفعل ما تشاء ، والتى تعنى عمليا الاستجابة لضغوط شارون وبوش بالقضاء على مقاومة الشعب الفلسطينى تعنى ببساطة شديدة أن ياسر عرفات قد سقط فى المستنقع .

وإذا كانت الوحدة الوطنية الفلسطينية هى هدف فى حد ذاته فإن ذلك يكون على قاعدة استمرار الانتفاضة والمقاومة والتمسك بالحقوق ، وليس اعتقال أبنائنا وقتل بعضنا بعضا أو السكوت على ممارسات المحتل المستمرة وتقديم خدنا الأيسر إذا ضربنا على خدنا الأيمن .

إن ما يقوم به عرفات وسلطته ضد حركتى حماس والجهاد هو أمر خطير للغاية وهو يحول عرفات عمليا إلى انطوان لحد جديد ، ويضيف إلى جرائمه الكثيرة فى حق شعبه جريمة جديدة .. وهذا بالطبع لن يغنى ياسر عرفات ، ولن يسمن له من جوع تجاه إسرائيل وأمريكا التى لن ترضى عنه إلا إذا اتبع ملتها حتى لو اعتقل وقتل الـ ٣ مليون فلسطينى فى الضفة وغزة ..

﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ﴾ ..

رئيس التحرير

خواطر مسلم

مؤتمر وزراء العجز العربى

اجتماع وزراء الخارجية العرب الذى تم فى القاهرة مؤخرا .. جاءت نتائجه ترجمة طبيعية لزمن العجز العربى ، وزمن التراجع ، وحالة التنازلات المستمرة ، وبديهى أن يكون الأمر كذلك لأن أى محصلة هى نتيجة حاصل جمع وطرح القوى المؤثرة فى الموضوع .

ولكن هناك بالطبع فرق بين العجز وبين العمل على تكريسه وليس محاولة التخلص منه ، وهناك فرق بين العجز وبين تعمد إظهار هذا العجز أمام العدو ليستأسد علينا ، وينتهك المزيد من حقوقنا .

اجتماع وزراء الخارجية العرب فى القاهرة ، فى أحضان جامعة الدول العربية على شاطئ النيل ، جاء فى ظروف إقليمية ودولية استفزازية للغاية ، وبالتالى كان لابد من وضع ذلك فى اعتبار المجتمعين ، فهناك الولايات المتحدة الأمريكية التى تهدد علنا عددا من الدول العربية بالعدوان عليها سريعا أو بعد فترة مثل الصومال - العراق - السودان - سوريا - لبنان ... إلخ

والأخبار فى هذا الصدد بل والتصريحات الرسمية الأمريكية استعملت لتوها حق الڤيتو لمنع إدانة إسرائيل فى مجلس الأمن ، بل ومنع وصول قوات مراقبة دولية لحماية الفلسطينيين من حالة الذبح المنظم والمستمر على أيدى الإسرائيليين .. وهذا أيضا يستفز كل من كان له إحساس .

بقلم: د. محمد مورو

وبديهى أن أمة عاقلة لا يمكنها الاعتماد على وساطة طرف ثالث يعلن انحيازه يوميا بالكلام والأفعال مع العدو ، ولم يحدث فى تاريخ الصراعات شئ مثل هذا الذى يحدث .. أليست الولايات المتحدة الأمريكية هى التى تعطى إسرائيل المال والسلاح ، وهى التى تعطيها الضوء الأخضر للعدوان على الفلسطينيين بالطائرات الأمريكية والقذائف الأمريكية والدعم السياسى والدبلوماسى الأمريكى ، وأنها تتبنى الآن علنا اعتبار رد الفعل الفلسطينى هو الإرهاب وتترك العدوان والانتهاك اليومى الإسرائيلى وتعتبره دفاعا عن النفس .

وعلى المستوى الإسرائيلى فإن شارون يُجلس الرئيس ياسر عرفات فى منزله برام الله واصفا إياه بالإرهابى ، ولم يسمح له بالخروج حتى لحضور اجتماعات وزراء الخارجية العرب بالقاهرة ، وهناك عملية اعتداء يومى على الفلسطينيين ، واقتحام بالدبابات والمدرعات للمدن والقرى فى منطقة (أ) ، وعمليات اغتيال قيادات وأطفال ونساء وضرب البنية التحتية من مزارع وكهرباء وماء ومجارى واقتلاع أشجار وتدمير بيوت ، بل وضرب طائرة الرئيس عرفات ومطار غزة فى أبشع عملية وأوسعها وأطولها استمرارا فى التاريخ بل وطلب أن يقوم الرئيس الفلسطينى بنفسه بذبح شعبه واعتقال أبنائه حتى يثبت ولاءه الذى لن يُثبت قط ، حتى لو قتل الرئيس الفلسطينى ٣ مليون فلسطينى واعتقل من بقى على قيد الحياة !!..

فى مثل هذه الأجواء .. أجواء الانحياز السافر .. أجواء إعلان إسرائيل العملى تراجعها عن أوسلو المشئومة ، أجواء إعلان الشعب الفلسطينى كله إرهابيا عليه أن يعيش فى معازل وكهوف وإلا وصف بالإرهاب لو قاوم بالحجر أو البندقية أو حتى بالكلمات .

فى مثل هذه الأجواء جاء مؤتمر وزراء الخارجية العرب ، ومن المفروض أن يراعى هؤلاء الوزراء ذلك ، ليس بفتح الإشارة الخضراء أمام الاستسلام وبالتالى توقع المزيد من العدوان والمعاناة واستمرار ولوغ العدو فى الدم العربى ، ولكن بشئ من إظهار الاعتراض والامتعاض والدعم للشعب

خواطر مسلم

الفلسطينى .. ناهيك عن إظهار الأنياب إن أمكن ولو بالتلويح بدعم العمليات الاستشهادية وحركات المقاومة الجهادية أو بإظهار الإحساس بأن ما يحدث لا يمكن أن يقبله إنسان .. أى إنسان ، وأن ظهرنا إلى الحائط ، ويمكن أن نخرج عن المعقول مثلا .

فى أقل الأحوال كان على وزراء الخارجية العرب أن يقوموا بعمل جدول محدد لدعم الشعب الفلسطينى من خلال آلية واضحة وعلنية وملزمة .. كان عليهم مثلا أن يعلنوا رفضهم للتهديد الأمريكى لبعض الدول العربية وإعلان وقوفهم صفا واحدا وراء من يتعرض للعدوان ، ودعوة الشعوب لمعاقبة أمريكا إذا فعلت ، وكذلك إعلان عدم الثقة فى الوسيط الأمريكى الذى لم يعد وسيطا ولا نزيها - ولم يكن كذلك فى يوم من الأيام - وانتقاد تأييده لإسرائيل ، واستخدام حق الفيتو ، وكان من المفروض التأكيد على حق الشعب الفلسطينى فى المقاومة وأن ذلك عمل مشروع تماما يستحق الدعم العربى والدولى ، والتمسك بكل الحقوق الفلسطينية من عودة اللاجئين وتحرير الأرض والتمسك بالقدس والمقدسات ومطالبة المجتمع الدولى بحماية الفلسطينيين من العدوان الإسرائيلى الأمريكى المستمر ، ورفض كل المنطق الأمريكى الصهيونى بخصوص الإرهاب المزعوم وعدم الانصياع للقرارات الأمريكية بهذا الصدد .

كان هذا وأكثر منه من المفروض أن يكون رد الفعل فى مثل هذه الحالة الشديدة الخطورة ونحن كأمة لم تتعرض لحالة أسوأ من هذة ولا أخطر منها ، وبالتالى فإن لم يتم استفزاز النخوة والرجولة العربية فى مثل هذه الظروف فمتى يتم ذلك ؟.. هل ماتت النخوة العربية مثلا ؟!..

ولكن الذى حدث كان العكس على طول الخط ، وكأننا نقول لأعدائنا إننا أمة تستمرئ الذل ، وتقدم التنازلات .. كان حجم العدوان عليها أكبر ، وأن شارون وبوش استطاعا دفعنا إلى مرجعات متراجعة أكثر بعد العدوان والتلويح بالمزيد منه ، وبالتالى فعلينا توقع الأسوأ لأن العدو لا يفهم إلا لغة القوة ، وليس لديه مروءة ولا شهامة نستفد منها .

وبدلا من أن نعلن مقاطعة أمريكا وإسرائيل أو حتى إسرائيل وقطع الاتصالات السياسية معها ، تم حذف النص الصريح على وقف الاتصالات السياسية مع شارون ، وبدلا من تحذير كل من السلطة وإسرائيل من محاولة المساس بالقوى المجاهدة فى فلسطين ، وإعلان دعمها ، نجد أن البيان يدعو إلى خضوع تلك القوى للسلطة أى إنهاء وجودها وقيمتها عمليا ، ولم يتضمن البيان وصف إسرائيل بالاستعمار وقوة الاحتلال ، وإسقاط كلمة الانتفاضة وتجنب ذكر اسم أمريكا مباشرة .

وفى زمن تهدد إسرائيل بتصفية السلطة الفلسطينية - وتفعل ذلك فعلا ، وتهدد دولا عربية أخرى مجاورة فإن مواجهة إسرائيل غابت عن المؤتمر بل حتى الدعوة إلى المقاطعة الاقتصادية الرسمية غابت ، ودليل على العجز وربما لدواعى الطرافة والاستظراف ناشد وزراء الخارجية العرب شعوبهم أن يقاطعوا البضائع الإسرائيلية الموجودة فى الأسواق العربية ، وكأن الحكومات العربية لم تعد تجرؤ على منح دخول تلك المنتجات إلى أسواقها !!..

وهكذا فحتى الحكومات لم تعد تملك القدرة على فعل شئ تجاه إسرائيل وتطلب بدورها من منظمات للمجتمع المدنى أن توجه النداءات إلى الشعوب وتحولت الأمة العربية حقا إلى ظاهرة كلامية ؟..

كان من الأفضل ألا يجتمع هؤلاء حتى لا تتأكد إسرائيل أن أحدا لن يعترض طريقها بجدية إذا ما قررت أن تفعل شيئا معقولا أو غير معقول .

القضية الفلسطينية إلى أين ؟

ربما لم تمر على القضية الفلسطينية - وقضايا المستضعفين عموما - وقتا عصيبا مثل هذا الوقت الذى نحن بصدده ، ولا شك أن القضية الفلسطينية تحديدا ، والقضايا العربية عموما مرت بأوقات كثيرة عصيبة ، فمأساة ١٩٤٨ ، المذابح اليومية ، هزيمة ١٩٦٧ ، الاجتياح الإسرائيلى لبيروت ١٩٨٢ وحصار المقاومة فى بيروت ثم خروجها ، ولكن فى كل مرة كان باب الأمل مفتوحا ويمكن تحميل الهزيمة على أسباب ذاتية وموضوعية يمكن مواجهتها أو تعديلها ، ذلك أنه فى تلك

سلاح الاستشهاد أحدث ذعرا داخل المجتمع الإسرائيلى

خواطر مسلم

الأوقات كان فى العالم كم من التناقضات بين قوتين أو أكثر يمكن الاستفادة منها ، ولم يكن الأمريكيون قد أصبحوا هم اللاعب الوحيد فى العالم وبالتالى إسرائيل .

ولكن فى نفس الوقت لم تكن القوى الفلسطينية والعربية المجاهدة والتى اكتشفت سلاح الاستشهاد قد ظهرت بعد بهذه الكثافة ولم تكن أمريكا وأوروبا وإسرائيل قد انفضحت نواياها الحقيقية أمام الجميع بهذا الوضوح .

وهكذا فنحن أمام عدد من المتغيرات وليس متغيرا واحدا مهما كان شأنه ، نحن أمام متغير إطلاق يد أمريكا فى العالم وحالة الغطرسة والزهو والحمق التى أصابتها بعد نجاحها فى أفغانستان ، ثم وضع العرب والمسلمين فى خندق ضيق ربما أضيق من الخندق أو الكهف الذى يعيش فيه أسامة بن لادن إن كان لايزال مختفيا فى خندق أو كهف من كهوف تورا بورا أو غيرها من الكهوف ، ذلك أننا جميعا أصبحنا متهمين وعلينا اثبات براءتنا بقتل أولادنا وغسل ثوبنا الإسلامى سبع مرات إحداهن التراب ، وإلا فالويل والثبور وعظائم الأمور تنتظرنا من العقاب الأمريكى ، ولعل ما يحدث فى اليمن مثلا هو خير مثال ، فللحصول على الرضا الأمريكى وهو لن يرضى "إلا باتباع ملته أى ملة بوش وشارون" فعلت السلطات اليمنية كل شئ حتى الوصول إلى حافة الحرب الأهلية ، وكذلك فعل ويفعل الرئيس عرفات الذى أصبح مستعدا للمغامرة بحرب أهلية فلسطينية لإثبات حسن النية ، ولعل أحداث الجمعة ٢١ ديسمبر والتى حدث فيها تبادل القتال وإطلاق النار بين الشرطة الفلسطينية وعناصر من حماس كانت تحاول إطلاق هاونات على إحدى المستعمرات الإسرائيلية والذى أدى إى قتل خمسة أفراد على الأقل وجرح ٦٠ آخرين .. كلهم فلسطينيون ، وبالتوازى مع إعلان مؤتمر وزراء الخارجية العرب المنعقد فى جامعة الدول العربية بالقاهرة ، والذى دعم موقف الرئيس عرفات بدعوته لوقف العنف ، وكأن العنف هو ما يمارسه الفلسطينيون وحدهم ، وليس أساسا بسبب وجود إسرائيل ذاتها وممارساتها العدوانية التى لم تنقطع يوما وعلى مدار الساعة منذ قيامها عام ١٩٤٨ ، وقبل قيامها أيضا ، والعجيب أن السلطات

شارون

الإسرائيلية تقوم بشن حرب علنية ضد المدنيين يوميا ، فالفلسطينيين لا يملكون قوات جوية ولا بحرية ولا دبابات ومع ذلك تتعرض مدنهم وقراهم يوميا إلى عملية ضرب مستمر بقطع البحرية والطيران والدبابات والألغام ، ووصل الأمر إلى ضرب مطار مدنى - وهو الأول من نوعه منذ عشرات السنين ، ونسف طائرة الرئيس عرفات ، بل وحبس الرئيس عرفات فى منزل صغير لا يستطيع ولا يقدر على مغادرته طالما لم تسمح السلطات الإسرائيلية بذلك .

ليس الأمر على هذا النحو العسكرى الاستكبارى الاستفزازى فقط بل إن تزييف المفاهيم والحقائق وقلب الأمور أصبح هو السائد فى العالم ، فكل من بوش وشارون هم جماعة الخير ، أما الرئيس عرفات وبن لادن ، والشعب الفلسطينى والأفغانى فهم جماعة الإرهاب والشر ، وعلى كل إنسان فى الأرض أن يقف مع الخير وإلا أصبح إرهابيا يستحق العقاب ، والولايات المتحدة أعطت الضوء الأخضر لشارون لكى يضرب كيف شاء ، وأعطته مع الضوء الأخضر السلاح الأسود ، طائرات الأباتشى ، والصواريخ والمال والتصريحات التى تقول إن من حق إسرائيل الدفاع عن أمنها بما تراه مناسبا حتى ولو كان بالاعتداء على المدنيين والأطفال ، والقضاء على البنية التحتية الفلسطينية ، أى القضاء على حياة وأمن الشعب الفلسطينى ، وكذلك فى تلويح الولايات المتحدة الأمريكية بضرب سوريا وإيران والعراق إذا استمر دعم حزب الله وحماس والجهاد الإسلامى ، ولم يقتصر الأمر على أمريكا بل إن أوروبا أيضا تقول وتفعل نفس الشئ ، فوزير الخارجية البريطانى يقول : إن على عرفات أن يقضى على حماس والجهاد وفتح والجبهة الشعبية وإلا فعليه أن يعلن عن عجزه ، وكأن عرفات يعمل خادما لدى السادة الأوروبيين والأمريكيين والإسرائيليين وعليه تقديم كشف حساب .

العالم إذن يمر بمنحى خطير جدا سواء على مستوى المفاهيم أو الممارسات ، وليس لها من دون الله كاشفة ، ولم يعد هناك فرق بين شارون وبوش و زينى وخافيير سولانا وهلم جرا .

فصائل المقاومة الفلسطينية وتحديدا حماس والجهاد الإسلامى ، ظهرها إلى الحائط فعلا ، فالعالم بالفعل أصبح إسرائيليا أمريكيا ، وعرفات محبوس ومحاصر ويمكن له أن يفعل أى شئ انطلاقا من الوهم أو سوء الفهم أو اليأس ، والدول العربية منفردة ومجتمعة غير قادرة على شئ ، وكل منها يريد أن يثبت خلو سجله الجنائى من دعم الإرهاب أو تمويله أو حمايته ، وأمريكا لا ترحم ، وهى قوية ومتغطرسة إلى أقصى درجة وإسرائيل تستغل الظروف كعادتها إلى آخر قطرة من دم الفلسطينيين ، والقوى الشعبية العربية والإسلامية فى حالة احباط بعد ما حدث فى أفغانستان ، ولأن تلك الفصائل تعرف أنها أم

الطفل وليس عرفات أو السلطة فهى تفضل تسليم الطفل إلى الأم غير الحقيقية بدلا من شطره إلى نصفين ، إنها ربما توقف العمليات الاستشهادية حتى لا تحدث حربا أهلية فلسطينية ، ولكن ذلك كله لن يجدى ، فوقف العمليات لن يكفى شارون وبوش وسولانا ، ولكن وقف الحياة والرجولة ذاتها فى شرايين الناس ، وهذا أمر مستحيل على شعب عانى طويلا وليس له من بديل إلا الموت أو المقاومة ، والشباب الذى ينفذ العمليات الاستشهادية لا يبحث فقط عن الجنة - وهذا حقه - ولكنه يبحث أيضا عن مكان تحت الشمس ، ينتقم للأمهات والأطفال والبيوت والمزارع وكل شئ ينتقم من كل هؤلاء الذين لا يتورعون عن تجويع وقتل وتدمير شعب بأكمله ، فى عالم يسكت أو يبارك أو يعجز عن فعل أى شئ لهذا الشعب .

المعادلات شكلا وموضوعا ليست فى صالحنا ، ولكن الواقعية الاستسلامية ليست فى صالحنا أيضا ، إنها تعنى نهاية الحاضر والمستقبل أيضا ، وهذه الواقعية بئر بلا قاع ، واللحظة تستدعى فعلا حسينيا ، لا يحقق شيئا من التقدم ، ولكنه يقيم الحجة على المرحلة ، ويحافظ على الجذوة مشتعلة تحت التراب ، ولو تصورنا مثلا أن الحسين بن على عليه السلام لم يخرج وقبل الظلم لأصبح الظلم منذ ذلك الوقت هو الحق والصواب ، ولكن خروج الحسين رغم إدراكه بموته وموت من معه بلا جدال كان يعنى كتابة الحق بالدم وعدم تكريس الظلم نظريا وتحويله إلى قاعدة صحيحة .. إنه الفرق بين من ينظر إلى الحاضر المظلم ولا يرى شعاع الأمل فى المستقبل .

نعم القضية الفلسطينية فى مأزق ، ونحن جميعا فى مأزق ، وليس لدى أى إنسان أو جماعة أو دولة القدرة على اختراق هذا الحائط الصلد من الظلم والاستكبار والمغالطة والاستعداء بالسلاح والمال والنفوذ والسيطرة ، ولكن يبقى الحق حقا ، والظلم ظلما ، والصحيح صحيحا والخطأ خطأ طالما إنسان واحد مستعد لأن يكتب بدمائه رفضا جميلا فى زمن ردئ .

نحن ندرك أن النداءات العربية لأمريكا أو أوروبا لن تجدى فتيلا ، ونحن نعرف أن أمامنا سنوات صعبة ، وأن القابض على الجمر الآن قلة قليلة ، ولكنهم ملح الأرض وندرك أيضا أن هناك خلل فى الدنيا التى تقوم على دفع الناس بعضهم ببعض وإلا فسدت الأرض وطالما لم يكن هناك من يدفع الأمريكان فإن عصر الفساد قد بدأ وإلى متى يستمر هذا الفساد ، الله وحده يعلم ، ولكنه لن يكون طويلا بحال من الأحوال ، لأن هذا عكس السنن المسيرة للكون .

لقد انتزعت أمتنا حقها فى الحياة ،

وتمسكت بقيم العدل ، وعليها أن تستمر مهما كان الثمن ، وقد اكتشفت سلاح الاستشهاد وعليها ألا تلقيه وإلا خانت أمانتها وعهدها ، وخانت التاريخ والجغرافيا ، الحاضر والمستقبل والله من ورائهم محيط .

قضية اللاجئين الفلسطينيين أو أم القضايا

اعتبرت إسرائيل - بكل حكوماتها - من يمين ويسار ووسط علمانيين ومتدينين ، وكذا كل قواها السياسية وحتى دعاة السلام المزعومين فى إسرائيل ، أن موضوع حق العودة للاجئين الفلسطينيين هو خط أحمر إسرائيلى لا يمكن الاقتراب منه ، وكذا عبرت الإدارات الأمريكية المختلفة فى مشروعاتها التى قدمتها للسلام بين الفلسطينيين والإسرائيليين عن تجاهلها لهذا الموضوع ، وتبنت بالكامل إهدار حقوقهم المشروعة فى العودة ، وآخرها مشروع كلينتون قبيل رحيله ، وإن كانت لا تمانع فى المساعدة فى توطينهم فى أماكن غربتهم أو تعويضهم بالمال !!.. أو تحسين ظروف حياتهم .

وعلى طول مسيرة المفاوضات والاتفاقات ، بل وعلى طول محطات الصراع فإن قضية اللاجئين كانت هى أم القضايا وأخطرها وأكثرها إثارة للجدل ، وهذا بديهى ، فالمشروع الصهيونى برمته قائم على اغتصاب أرض من أهلها وترويعهم وتشريدهم وطردهم منها ، ثم الاستيطان فوق تلك الأرض واستجلاب المهاجرين اليهود من كل مكان ، وبالتالى حرمان أصحاب الأرض الحقيقيين من أرضهم وبيوتهم وبياراتهم وهكذا فإن استيطان يهودى فى أرض فلسطين تعنى مباشرة طرد فلسطينى وعودة لاجئ تعنى مباشرة طرد يهودى من الأراضى التى اغتصبها ، وهكذا فإن قضية اللاجئين هى أم القضايا وجوهر الموضوع .

ولأنها كانت ولاتزال كذلك فإن الفكرة الصهيونية ارتبطت منذ البداية بأكذوبة كبرى وهى شعب بلا أرض يريد أرضا بلا شعب ، أو أرض بلا شعب لشعب بلا أرض ، فقد قام الإعلام الصهيونى على أن أرض فلسطين خالية من البشر ، وحاولوا إقناع العالم بذلك ونجحوا فى ذلك إلى حد كبير رغم أنها أكذوبة واضحة المعالم ، بل وصل الكذب إلى حد أنهم أحيانا صدقوا أنفسهم أو يتبجحوا بالكذب رغم الحقيقة الماثلة للعيان ، فجولدا مائير الزعيمة الصهيونية المعروفة كانت تكرر أنه لا يوجد فلسطينيون ، رغم أنهم كانوا يحيطون بها من كل جانب سواء من عرب ١٩٤٨ أو غزة والضفة أو من قامت بنفسها بتهجيرهم أو قتلهم وترويعهم حتى يهاجروا .

وبناء على تلك الفلسفة التى صاغت الفكر الصهيونى ، اعتمد الصهاينة دائما على تخويف الفلسطينيين وترويعهم وتنظيم المذابح حتى يضطروهم إلى الهجرة ، ومن يصمد ولا يهاجر تتم مصادرة أرضه بقوانين إدارية ، أو يُحارب فى رزقه وعيشه هكذا حتى يضطر أن

خواطر مسلم

يهاجر ، وإذا تتبعنا المدن الإسرائيلية المعروفة الآن نجد أنها قامت على أنقاض مدن وقرى فلسطينية وعلى أراض تركها أصحابها أو تمت مصادرتها ، وليس هناك استثناء من ذلك ، أما الحديث عن أن الفلسطينيين قد باعوا أرضهم طواعية لليهود فهو كلام لا قيمة له لأن البحوث والدراسات المحترمة أثبتت أن ذلك مجرد حالات محدودة لا تصل إلى ٦ر٪ أو ٦ فى الألف وهى نسبة لا يُعتد بها أولا ، وكانت أراض مملوكة لإقطاعيين ليسوا فلسطينيين ثانيا بل كانت لهم إقطاعيات فى فلسطين وسوريا ولبنان وربما مصر وهكذا ، وثالثا لأن السماح بهجرة اليهود إلى فلسطين وهى المؤامرة البريطانية الكبرى هو أصل المشكلة ، فلمن كان سيبيع هؤلاء لو لم يوجد مهاجرون يهود ؟

المذابح والترويع والطرد هى الأصل ، وما عداه استثناء وهكذا فإن قضية اللاجئين تلخص قضية فلسطين كلها ، والاقتراب منها يعنى فتح موضوع مشروعية قيام إسرائيل ذاته ومشروعية بناء كل بناية ومصنع ومدرسة وجامعة بها ، ومشروعية إقامة كل فرد فيها فضلا عن أنه يفتح سجل الآلام الضخمة التى عاناها ولايزال يعانيها الفلسطينيون ، ولذا لجأ المفاوض الإسرائيلى إلى تأجيل البت فى تلك القضية فى كل مرة يتم الوصول إلى اتفاق ، وذلك ضمن ثلاثة قضايا شائكة هى القدس والمستوطنات واللاجئون ، ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا إن أخطر هذه القضايا هى قضية اللاجئين وصحيح أن قضية القدس ذات أبعاد تاريخية وعقائدية ولا تخص الفلسطينيين وحدهم بل العرب والمسلمين والمسيحيين ، وتتشابك فوق خيوط إقليمية ودولية ، ولكنها من وجهة نظرنا قابلة للحل بطريقة أو بأخرى ويمكن لإسرائيل أن تقبل حلا ما يعطى السيادة للفلسطينيين على المقدسات الإسلامية والمسيحية مع بعض الضمانات أو حتى يمكن لإسرائيل أن تتنازل عن منطقة الأقصى للفلسطينيين ، وحتى لو أدى ذلك إلى هياج قطاع من المجتمع الإسرائيلى وهو قطاع المتشددين ، فإنه لن يؤدى إلى نهاية إسرائيل مثلا ، وكذا فإن المستوطنات يمكن الوصول إلى حل بشأنها ، لأنها أولا لا تمثل إلا قطاعا محدودا من الإسرائيليين ، وأنها ثانيا سوف تكون عبءا كبيرا على الكيان الصهيونى فى حالة الوصول إلى حل وإقامة دولة فلسطينية فكما أنها تمثل تمزيقا لتلك الدولة فإنها أيضا رهينة داخل البحر السكانى الفلسطينى ، وفى النهاية يمكن الوصول إلى حل ما بشأنها بل لعلنا لا نكون مبالغين إذا قلنا إن إسرائيل تشددت بشأن قضية المستوطنات وقضية القدس لكى تجعل الاهتمام بهاتين القضيتين وتحديدا بقضية القدس يغطى على ما تريده

من الحصول على صك فلسطيني ينهى قضية اللاجئين ، أى ينهى القضية ويريح إسرائيل للأبد لأن وجود كل لاجئ لم يعترف بشرعية الاستيطان والوجود الصهيوني ويريد العودة يعني أن هناك قنبلة زمنية ستنفجر في أى لحظة ، ولنا أن نتخيل قيام حركة بين المهاجرين لا علاقة لها بالسلطة ولا بالقوى السياسية الفلسطينية أو العربية المختلفة ولا علاقة لها بالحكومات ، ولا تهتم غير بحق العودة فقط ، واستطاعت أن تثير حماس هؤلاء الـ ٧ ملايين لاجئ لكى يتجمعوا يوما فى مكان ما - الأردن أو لبنان ويزحفون - بلا سلاح - على إسرائيل ، ألن تغرق إسرائيل في بحر من البشر؟

هذه المسيرة المليونية الفلسطينية مشروعة تماما ، ولن تجرؤ قوة إقليمية أو دولية على قمعها أو منعها ، هذه المسيرة ليست وحدها الإجراء الممكن بل كذلك يمكن التحرك دوليا فى الأمم المتحدة ومراكز حقوق الإنسان

والتجمعات الشعبية هنا وهناك لرفع قضية اللاجئين ولكن من منظور العودة ، ولا شئ سوى العودة ، إنه أمر مزعج بل مرعب لإسرائيل ، لأن إسرائيل التى تتكون من ٤ مليون يهودى + ٢ر١ مليون عربى من عرب ١٩٤٨ بالإضافة إلى ٥ر٢ مليون فلسطيني فى الضفة وغزة لن تتحمل عدد ٧ملايين فلسطيني من الشتات ، لاسيما وأن هؤلاء مشهورون بكثرة الإنجاب ، أى أن اليهود سيغرقون فى بحر بشري فلسطيني وهو ما ينهى وجود الدولة العبرية تماما !!..

وهكذا فإن حق العودة هو ما ترغب إسرائيل فى الحصول على صك من السلطة الفلسطينية بانتهائه ، وإنهاء القضية وإغلاقها بالتالى حتى لا يأتى يوم بعد عام أو عشرة أعوام ويطالب الجيل التالى من الفلسطينيين بالعودة فطالما ظل الوضع معلقا فإن مطالب الأجيال لن تنتهى طبعا خصوصا إذا استمر الصراع خصبا ساخنا والدماء تسيل !!..

وإذا كنا قد استنتجنا أهمية موضوع اللاجئين ، وجعلناه الموضوع الأكثر خطورة ، فإننا نرى أنه ليس من حق السلطة ولا عرفات ولا أحد التسليم بإنهاء هذا الحق لأنه يمس الأجيال القادمة ولا يستطيع أحد أن يفرط فى هذا الحق ، وهذا لا يتعارض ، ولا يجب أن يتعارض أصلا مع أهمية عودة القدس والمقدسات الإسلامية والمسيحية فى بيت المقدس ، فهى كلها قضايا مهمة بالطبع ، بل

المفروض طبعا عودة كامل التراب الفلسطينى من النهر إلى البحر ومن الجنوب إلى الجنوب .

حق العــودة هو حق بديهى ، وهو حق لا يخـتلف عليـه اثنان ، وهو أيضــا ثابت بالشرعية الدولية بالقرار رقم ١٩٤ الذى ينص على العــودة والتـعـويض ، أى عـودة كل اللاجـئين فى كل مكان إلى فلسطين وعـودة المهاجـرين داخل فلسطين إلى قـراهم الأصليـة وبيـوتهم الأصليـة ، ثم تعـويضـهم عن تلك الفترة التى قضوها فى المنافى ومن استغلال إسرائيل والإسرائيليين لأرضهم وبيـوتهم طوال تلك المدة .

وبالطبع فإن إسرائيل وأمريكا ومعـهما ما يسمى بدعاة العقلانيـة يروجون لمقولة أن ذلك مـسـتحـيل لأن مـعنى عـودة كل هذه الملايين نهاية إسرائيل وهذا غيـر ممكن - لماذا ؟.. لأن الإسرائيليين قد بنو عـمارات ومـرافق ومـدن ومدارس وجـامعـات ومـصـانع على الأراضى المغتصبة فكيف نهدم ذلك ونعيده إلى أصحابه وأن المطالبة بالمستحيل هى نوع من العنتريات التى عفى عليها الزمن ، ومن الأفضل الحديث عن حلول واقـعيـة بمعنى توطين اللاجئين فى أماكن وجودهم أو البحث لهم عن أماكن أخرى ، وتحسين ظروف حيـاتهم ومـساهمـة الأسرة الدوليـة فى تعـويضـهم وتمويل توطينهم ، وظهـرت فى هذا الإطار مـشـروعـات لتـوطين اللاجئين الموجودين فى لبنان بهـا وكذا الأردن وسوريا .. إلخ ، ولكن الفلسطينيين الموجودين فى هذه البلدان رفـضــوا ذلك ، ورفـضت حكومـات لبنان وسـوريا ذلك أيضـا ، وهناك حديث عن توطينهم بالعراق مثـلا فى مقابل رفع الحصار عن العراق وإنهاء عزلته الدولية ولعـل هذا المخطط هو مـا يؤخـر حل المشكلة العـراقيـة حتى الآن انتظارا لنضوج الثمـرة ، وبالطبع فـإن أحــدا لن يقـبل ذلك ، لا الفلسطينيـون ولا لبنان والعـراق وسـوريا .. إلخ .

حق العودة هو القضية ، لأنه يسحب شرعية وجود الدولة العبريـة من أساسه ، وعلينا ألا نخاف من طرح الموضـوع أى مـوضوع تفكيك دولة إسـرائيل وإقـامـة وطن حـر يعـيش فيـه الجميع على قدم المساواة ، ولأن الأمـر كذلك فإن الحكومات الإسرائيليـة المتعاقبة حرصت على الحـصول على اعتـراف بوجـود وشرعيـة إسرائيل مقابل بعض التنازلات ، بل وحرصت أيضا على إلغـاء ميثاق منظمة التحرير مقابل اتفـاقـيـة أوسلو وهذا لأنهـا تدرك أنه بدون الحـصـول على صك الشـرعـيـة من العـرب والفلسطينيين أنفسـهم فـإن الشعـور بالأمـان لدى كل إسرائيلى سيظل منقوصـا وحتى لو اعـتـرف العـالم كله وبقـيت مـجـمـوعـة من الفلسطينيين أو العـرب يشككون فى شرعـيـة وجود الدولة العبرية ويطالبون بتفكيكها ولا

يسلمون أو يعترفون بها ، فإن ذلك يعنى أن الأجيال القادمة ستجد الجذوة تحت الرماد مشتعلة أو الجذور صالحة لم تمت وربما اندفع الطوفان من جديد .. وما بين التمسك بالحق البديهى ، والالتفاف حوله تدور قصة اللاجئين منذ عام ١٩٤٨ وحتى الآن ، ففى عام ١٩٤٩ صدر القرار رقم ١٩٤ ، وقد رفضت إسرائيل هذا القرار وحاولت ومعها حلفاؤها الدوليون الالتفاف على حق العودة وطُرحت مشروعات لتوطين اللاجئين فى أماكن إقامتهم فى المنافى ويقدر الباحثون عدد هذه المشروعات بـ ٣٦ مشروعا منذ عام ١٩٤٩ وحتى الآن منها مشروع وكالة الغوث ١٩٥٢ - ١٩٥٤ ، ومشروع دالاس ١٩٥٣ ، ١٩٥٦ ومشروعات جونسون ١٩٥٥ - ١٩٦١ ، ومشروع أنطونى إيدين ١٩٥٥ ، ومشروع ايزنهاور ١٩٥٧ ، ومشروع همرشولد ١٩٥٩ ، والمشروعات أو المقترحات سواء كانت إسرائيلية أو من متعاطفين معها تدور كلها حول توطين اللاجئين فى أى مكان من العالم ما عدا أرضهم الأصلية فقد طُرح توطينهم فى أمريكا وأوروبا وكندا واستراليا وسوريا ولبنان والأردن ... إلخ ما عدا فلسطين بالذات ، ولكى يتم إرضاء أو إلهاء الرأى العام العالمى فإن مساعدة الفلسطينيين اللاجئين تتم طبعا عن طريق وكالة غوث اللاجئين "الأوزوا" التى تشكلت باقتراح من الولايت المتحدة الأمريكية والمساعدة هنا تكمن فى تأهيلهم اقتصاديا واجتماعيا وتعويضهم عن الأضرار أو بناء مخيمات لهم ، أو تشغيلهم ما عدا حق العودة طبعا ، وحاولت إسرائيل دائما الادعاء أن الفلسطينيين ليسوا شعبا بل هم مجتمع من العرب يمكن أن يذهبوا ليعيشوا فى البلاد العربية ، وأنه ليس هناك دولة اسمها فلسطين وأن الفلسطينيين جاءوا إلى تلك الأرض كرعاة فقط وليس هذا من زمن بعيد ، أما اليهود فهم شعب يتم تشكيله ويجب إعادتهم من كل مكان لتعمير تلك الأرض التى بلا سكان ، ولا صاحب وأنهم أى اليهود متحضرون أما الفلسطينيون فهمج وبرابرة .

ولا يخلو الموضوع من طرائف إسرائيلية أو أشياء تثير الغيظ فى الحقيقة فإسرائيل تزعم مثلا أنه يجب تعويض اليهود الذين هاجروا من البلاد العربية إلى إسرائيل ، ورغم أن ذلك تم بإرادتهم أولا ، أو حتى رغم أنف تلك الدول التى ما أرادت أصلا أن يخرجوا منها وربما منعتهم فهربوا ، وثانيا نقول لهم تفضلوا وعودوا إلى بلادكم واتركوا فلسطين !!..

ومن الطرائف والعجائب أيضا أن جامعة هارفارد تبنت مشروعا يقضى اعترافا ورقيا إسرائيليا بالذنب واقتناع الفلسطينيين فى المقابل باستحالة حق العودة !!..

والغريب أن رفض إسرائيل لحق العودة الفلسطينى ، أى عودة الفلسطينيين إلى أرضهم التى طُردوا منها قسرا منذ خمسين عاما يترافق مع إصرار إسرائيل على منح حق

خواطر مسلم

العودة لفلسطين لأى يهودى فى العالم روسى أو مجرى أو ألمانى أو أمريكى أو عراقى أو حبشى أو مغربى أو إيرانى رغم عدم صلة هذا بفلسطين ولا أجداده فى أغلب الأحيان لعدة آلاف من السنين وربما بالمرة تماما حيث إن معظم اليهود الحاليين لا علاقة لهم ببنى إسرائيل الأصليين كما ذكر ذلك أكثر من باحث مرموق.

حق العودة ثابت بالتاريخ والجغرافيا ، رغم كل محاولات طمس الهوية ومادام هناك شعب فهناك قضية ، خاصة أن هذا الشعب متمسك بمفاتيح البيوت ويحكى الأجداد للحفدة عن مدنهم وقراهم الأصلية وبياراتهم وحقوقهم ، والحق ثابت لأن الاحتلال لا يلغى حق الملكية ، ولأن وعد بلفور وقرارات التقسيم وكل ما أدى عمليا أو رسميا إلى قيام إسرائيل غير شرعى لأن الفلسطينيين لم يكونوا طرفا فيه بل هم الضحية وعدد اللاجئين وتوزيعهم فى العالم يتراوح بين ٥ . ٧ مليون نسمة وهم موزعون أساسا فى سوريا ولبنان والأردن والضفة ومصر وأمريكا وأوروبا ، ويبقى أن من الضرورى كما قلنا ظهور هيئة تمثلهم ليست سياسية ولا علاقة لها بمنظمة التحرير أو السلطة الفلسطينية أو أى قوى سياسية أو حكومات ، وتهتم فقط بتوثيق الخرائط والعقود والأوضاع والأرقام التى تؤكد حقوق اللاجئين فى العودة إلى فلسطين .

الأقليات اليهودية .. فى وجود إسرائيل وفى حال غيابها

موضوع الأقليات اليهودية فى العالم العربى والإسلامى سواء الذين هاجروا إلى إسرائيل أو الذين ظلوا يعيشون فى بلادهم الأصلية فى العالمين العربى والإسلامى بالتحديد ، يجب أن يخضع لتحليل دقيق يراعى الظرف التاريخى والحاضر والمستقبل على حد سواء ، وهذا الموضوع مرشح بقوة للنظر فيه - الآن - نظرا لعدد من الاعتبارات الطارئة والدائمة وقبل أن نتحدث عن تلك الاعتبارات ومن ثم نطرح رأينا فى المسألة ينبغى إقرار أو محاولة إقرار عدد من الحقائق كالتالى :

إنه كان هناك - ولايزال - أقليات يهودية فى معظم بلدان العالم العربى والإسلامى ، فى

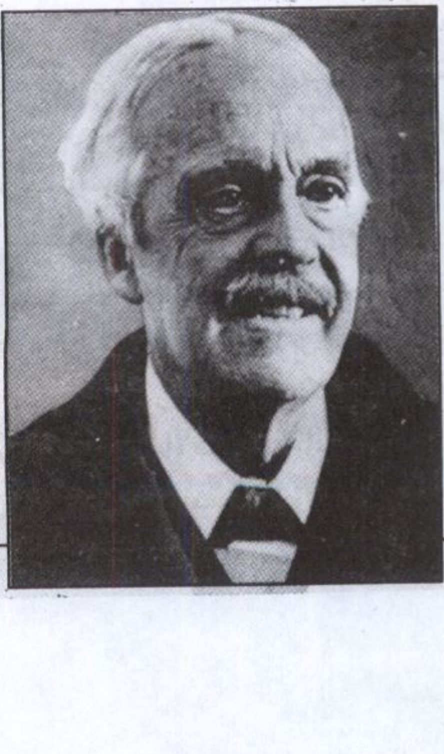

بلفور

العراق وإيران ومصر واليمن والمغرب ، وإن هذه الأقليات كانت تمثل نسبة عددية لابأس بها ، انخفضت بالطبع بعد الهجرة الكثيفة إلى إسرائيل ، ومن ناحية المبدأ فإننا ضد طرد اليهود من العالم العربى والإسلامى باتجاه إسرائيل ، وكذا فإن هجرتهم الاختيارية إلى إسرائيل هو تصرف غير أخلاقى منهم ، وهذا موضوع آخر - ويجب أن نشجع بداية على استمرار استقرار من بقى منهم ولابأس فى دعوة من هاجر إلى العودة شريطة إعلانه رفضه للصهيونية وتنازله عن الجنسية الإسرائيلية .

إن معنى وجود مثل هذه الأقليات فى العالمين العربى والإسلامى فى العصر الحاضر أن هناك دليلا واقعيا ، فضلا عن الدليل التاريخ على تسامح الحضارة الإسلامية لأنه لولا وجود هذا التسامح لما كان من الممكن وجود مثل هذه الأقليات ، وبمناسبة الحديث عن التسامح الإسلامى فإن الاضطهاد الذى لاقاه اليهود كان أساسا من جانب الحضارة الأوروبية ، بل إن اليهود تم طردهم مع المسلمين من الأندلس إبان حركة الاسترداد المسيحى لإسبانيا والبرتغال ، ولا شك أن تجربة التعايش الإسلامى المسيحى اليهودى فى الأندلس بل وبروز عبقريات يهودية فى هذا الجو مثل الفيلسوف اليهودى ابن ميمون دليل على عبقرية المناخ الذى سمح ببروز تلك العبقرية الفردية التى لم تكن لتبرز لولا التسامح ، وبقدر الإشادة بعبقرية ابن ميمون ينبغى أن تكون الإشادة بالمناخ الذى سمح لها بالظهور ، وهنا ينبغى أن نلفت النظر إلى أن المنظمات التى تحمل اسم ابن ميمون تكرس عكس ما هو مفروض ، فهى تتجاهل مناخ التسامح الحقيقى ، أى عودة اليهود إلى بلدانهم الأصلية وتدعو إلى تكريس عنصرية يهودية فى فلسطين المحتلة وتعايش بين إسرائيل والعرب ، وهذا لعمرى هو منتهى اللاعلمية واللاموضوعية بل ولى الحقائق التاريخية واستخراج عكس حقيقتها ومضمونها منها .

إنه - ينبغى علينا ، انطلاقا من قيمنا الدينية والحضارية - أن نفرق بين اليهودية والصهيونية ، وصحيح أن معظم يهود العالم بما فيهم الأقليات اليهودية فى العالمين العربى والإسلامى قد انحازوا إلى الصهيونية وهاجر قطاع كبير منهم إلى إسرائيل كتكريس لهذا الانحياز ، ولكن هناك يهودا - ولو عددا قليلا - يرفضون الصهيونية مثل جماعة نيتورى كارتا اليهودية ، وعلى رأسها الحاخام اليهودى يسرائيل فايس الذى يرى أن الصهيونية منفصلة عن اليهودية وأى شخص يصبح متورطا فى الصهيونية يخرج فى النهاية خاسرا بل إن هذا الحاخام وثلاثة من زملائه اعترفوا إبان زيارتهم الأخيرة لطهران بمناسبة محاكمة الجواسيس اليهود الثلاثة عشر بأن إسرائيل خدعتهم ، وأن إسرائيل ذاتها كيان غير شرعى وأنها اغتصبت الأرض الفلسطينية بدعم من الأمم المتحدة .

خواطر مسلم

إن الصهيونية تتعارض مع اليهودية ، بل هى إفراز استعمارى غربى ، وهي مشروع غربى أوروبى تماما لإقامة غدة سرطانية فى قلب العالم العربى والإسلامى فى إطار الصراع الاستعمارى على المنطقة ، والصراع التاريخى بين الحضارتين الإسلامية والأوروبية وأن هذا المشروع الغربى استهدف أولا التخلص من اليهود الأوروبيين كزبالة بشرية غير مرغوب فيها . والكيد فى نفس الوقت للعرب والحضارة الإسلامية بإقامة مفرزة استعمارية متقدمة ورأس جسر غربى فى المنطقة كبديل عن الاستعمار .

- إن خطاب التحرير العربى لفلسطين يجب أن يرتكز إلى أن إسرائيل كيان غير شرعى ، وأن الكفاح المسلح هو الطريق الصحيح ، وأنه يجب إزالة إسرائيل من الوجود ، وكل هذا حق مشروع وليس نوعا من العداء لليهودية أو الشعور باللاسامية ، وكذا رفض كل أشكال التطبيع مع إسرائيل ومؤيديها من الصهاينة اليهود وغير اليهود ، وهذا بالطبع لا يجعلنا نتورط فى موقف نفسى يؤيد اليمين الأوروبى الذى يضطهد اليهود والمسلمين وغير الأوروبيين وكذا لا يجعلنا نتورط فى إنكار الاضطهاد الأوروبى لليهود ، فهذا الاضطهاد حقيقة مؤكدة ، ولكن حجمه وكثافته هى المختلف عليها ولا بأس بالطبع فى أن نشك فى مبالغات اليهود فى ذلك ، أو فى استخدام هذا الاضطهاد لتبرير قيام إسرائيل ، فليس من المفروض أن يدفع العرب والفلسطينيون ثمن اضطهاد أوروبا لليهود ، بل إن اليهود الذين انساقوا وراء الصهيونية هم أعداء أنفسهم ويحققون بأنفسهم أقصى وأقسى نوع من الاضطهاد .

وبعد هذه الحقائق فإن عددا من الاعتبارات الآتية رشحت المسألة للمناقشة ، أولا فمناسبة محاكمة اليهود الثلاثة عشر فى إيران بتهمة التجسس لصالح إسرائيل وما صحبها من احتجاجات وتحركات عالمية ضد تلك المحاكمة فرصة لإظهار رأينا القيمى والحضارى فى الموضوع ، فلا شك أن الأقلية اليهودية فى إيران تتمتع بكل الحقوق - كعادة الحضارة الإسلامية وفى ظل جمهورية إسلامية ، وكذا فإنه انطلاقا من عدم وجود عقد تجاه اليهود ، وانطلاقا من ممارسة حقوقهم والنظر إليهم باعتبارهم مواطنين ، فإن محاكمتهم على جريمة اقترفوها هو السلوك السوى وغير الطائفى لأنه لو تجسس مسلمون أو مسيحيون لكانت المحاكمة هى نصيبهم واستثناء اليهود من المحاكمة أو النظر إليهم كيهود عند المحاكمة هو السلوك الطائفى بعينه !!..

ومن ناحية ثانية فإن توجه الحكومة المغربية نحو إعطاء اليهود الإسرائيليون من أصل مغربى حق الجنسية المغربية شابه قصور واضح

فالمفروض طبعا إعطائهم هذا الحق ، ونحن مع ذلك ، شريطة أولا تخليهم عن جنسيتهم الإسرائيلية ، وإعلانهم أنهم اكتشفوا خداع الفكرة الصهيونية ومن ثم ترك فلسطين لأهلها والعودة إلى المغرب وعدم تقديم أى عون لإسرائيل ، بل الاستعداد كعرب لممارسة الكفاح ضد المشروع الصهيونى .

ومن ناحية ثالثة فإن ما أثير حول رغبة بعض يهود إسرائيل من أصل يمنى زيارة المغرب جاء فى إطار نوع من التآمر لتحقيق نوع من الاختراق والتطبيع مع اليمن ، وبالتالى فإن الفتاوى الدينية التى حرمت هذا هى صحيحة ، وهذه الفتاوى ليست موجهة ضد اليهود واليهودية ، ولا هى تعبر عن عنصرية فقهية ، فالمفروض أن يعود يهود اليمن المهاجرين إلى اليمن بعد أن يتخلوا عن الجنسية الإسرائيلية ويعلنوا عداءهم للصهيونية ، أما تمسكهم بإسرائيليتهم وصهيونيتهم يعنى أنهم يريدون الاعتراف بمشروعية إسرائيل !!..

ومن ناحية رابعة فإن التطورات الإقليمية والدولية وبحساب كثير من العوامل - فإننا نرى ومن وجهة نظر شخصية قائمة على حسابات دقيقة - أن المشروع الصهيونى ، وإسرائيل تحديدا سوف تنتهى فى غضون فترة تقل إن شاء الله عن خمسين عاما ، خاصة بعد تجربة حزب الله وطريق المقاومة الشعبية التى يمكن أن تتكرر غدا أو بعد غد هنا أو هناك والتى سوف تؤدى حتما إلى شعور بعدم الأمان داخل المجتمع الإسرائيلى ، وهذا يجعل الهجرة من إسرائيل قادمة لا محالة وبالتالى قرب نهاية إسرائيل ، ولا مناص فى تلك الحالة من وضع علم مستقبلى لاتجاهات الصراع وأبعاده ، وأن يكون هذا العلم فى حد ذاته طريقا للإسراع بتفكيك إسرائيل ونهايتها ومن هنا فلابد من دراسة دقيقة لعدد اليهود الذين هاجروا من الدول العربية والإسلامية ، وهم فى بعض التقديرات يصلون إلى نصف سكان إسرائيل ، ومن الضرورى ترك الباب أمامهم للعودة إلى أوطانهم الأصلية مع تخليهم طبعا عن الجنسية الإسرائيلية وإعلانهم العداء للصهيونية وأنهم خدعوا بها وكذا استعدادهم للمساهمة فى الكفاح ضدها وذلك فى مقابل إسقاط العقوبة عن جرائمهم التى ارتكبوها طوال إقامتهم فى إسرائيل ضد العرب والفلسطينيين .

وهذه المهمة التى سوف تستند إلى بحث علمى وإحصائى دقيق ، ثم خطاب عربى متميز ، ثم إعلام كفء لتقديم هذا البديل لهم هذه المهمة يجب أن تكون شاغل المنظمات الأهلية والمدنية العربية فضلا عن الحكومات والمنظمات الرسمية .

د . محمد مورو

www.Islam web.net

شبكة المعلومات الدولية الرابعة "إسلام ويب" تجرى حوارا مع الاستاذ : حسين عاشور مؤسس دار ومجلة المختار الإسلامى المصرية

حسين عاشور

حسين عاشور للشبكة :

- الكوادر الإسلامية الفكرية موجودة وتحتاج إلى من يلقى الضوء عليها
- كنا أحد مصادر الصحوة الإسلامية والله سبحانه هو الذى سخرنا لذلك
- الحرية وتدافع الأفكار يقود إلى تألق الفكر الإسلامى
- المعركة فى أفغانستان هى حرب على الإسلام ولا فرق بين الروس والأمريكان

أجرى الحوار : كمال حبيب

حسين أحمد عيسى عاشور والده من علماء الأزهر الشريف وكان الوالد مفتيا للجمعية الشرعية فى مصر وهو أحد تلامذة الشيخ محمود خطاب السبكى مؤسس الجمعية وهو أيضا مؤسس مجلة الاعتصام التى استمرت ما يزيد عن خمسين عاماً فى خدمة العمل الإسلامى .

أسس الحاج حسين بعد عودته من لبنان دار المختار الإسلامى التى طبعت أكثر من ألف عنوان إسلامى لمفكرين وعلماء من كافة أنحاء العالم الإسلامى من أبرزهم أبو الأعلى المودودى والشهيد سيد قطب ومالك بن نبى ووحيد الدين خان كما أخرج رسائل نحو وعى إسلامى التى كانت تطبع بمئات الآلاف وجاء ذلك مواكبا للصحوة الإسلامية فى السبعينات وهو ماجعل دار المختار الإسلامى أحد مصادر بناء وتأسيس الصحوة الإسلامية فى مصر ثم أسس الحاج حسين مجلة المختار الإسلامى التى أصبحت منبرا لقضايا الإسلام والمسلمين فى العالم وأصبحت مجلة المختار مصنعا حقيقيا لبناء الكوادر الإعلامية الإسلامية فى مصر فى وقت كانت هذه الكوادر مقصورة على الاتجاهات الإسلامية الأخرى وتميزت المختار الإسلامى بتعبيرها عن الأمة كلها ولم تحصر نفسها فى مدرسة أو تيار وهو ما وهبها التميز والعافية ولا تزال المختار الإسلامى تؤدى دورها وتصدر حتى اليوم .. الحاج حسين أصدر أيضا مجلة هاجر للمرأة المسلمة وزمزم للطفل المسلم ومنذ كانت المختار وحتى اليوم مجلة ودار والحاج حسين هو الجندى المجهول الذى يتابع كل فكرة وخطوة ويسهر على تقديم الجديد فى عالم الفكر والنشر الإسلامى فإلى تفاصيل الحوار :

• بادرناه بالسؤال عن بداية نشأة دار المختار الإسلامى للنشر .. كيف ظهرت أفكاره للنور ؟

المودودى

- مسألة الدار والمجلة لا نستطيع الفصل بينهما ولكن دار النشر هى الأساس (دار المختار الإسلامى) والحقيقة أن الدار كانت حلماً لى منذ زمن بعيد ومن الصدف الغريبة . إننى كنت قد هاجرت عام ١٩٦٩ فى يناير من ذلك العام إلى الكويت ثم سافرت إلى بيروت ثم أنشأت هناك دار نشر متواضعة لكننى استفدت الخبرة طوال أربع سنوات وبناء على هذه الخبرة أنشأت دار النشر هنا فى القاهرة بعد عودتى من بيروت عام ١٩٧٣ وعندما فكرت فى إنشاء دار المختار الإسلامى فكرت فى إنشاء دار متميزة تعمل فى حقل الدعوة الإسلامية وأن يكون هذا العمل خالصاً لوجه الله من أجل أن يبارك الله فيه ويبارك فى خطواته وركزت على الفكر الإسلامى المعاصر باعتبار أن هذا الحقل كان نادراً وكان الجيل الجديد فى حاجة إلى مثل هذا التوجه وبدأت بنشر كتاب إسلامى متميز هو كتاب (الإسلام يتحدى) للمفكر الإسلامى الهندى العظيم (وحيد الدين خان) وهو أحد تلامذة الشيخ (أبو الأعلى المودودى) هذا كتاب ترجمة ابنه

الأستاذ ظفر الإسلام وراجعه وأعاد صياغته وعمل له مقدمة جيدة الدكتور عبد الصبور شاهين وهذا الكتاب كان له أثراً جيداً وكتبت عنه الصحف فى وقتها ومنهم أحمد بهجت .. كتب عنه فى الأهرام وكان كتاباً فريداً فى بابه وطُبع منه حوالى مائة ألف نسخة وكان له صدى وتأثير طيب ومن الأشياء الطريفة والعجيبة أن ثمن هذا الكتاب كان ٦٥ قرشاً والكتاب نجح وأثبت وجوده ، عادة لو كان الهدف تجارى كان المفروض يرتفع السعر فى الطبعة الثانية والثالثة ولكننى عملت العكس فقد خفضت سعره إلى خمسين قرشاً وربنا بارك فيه وكان له دور عظيم وأنا أعتز بهذا الكتاب الذى كان باكورة أو بداية لطبع ألف عنوان على مدار ثلاثين سنة فى جميع فروع المعرفة الإسلامية ما من كتاب صدر للمختار الإسلامى إلا كان هدفه أن يفيد المسلمين ويعمل على رفع شأنهم ويعبر عن مشاعرهم ووجدانهم وله دور فى تشكيل وجدانهم ودار المختار كان لها دور فى تقديم أسماء جديدة لم تكن معروفة من قبل وهى أسماء لامعة معروفة عالمياً فى مقدمتها الأستاذ أبو الأعلى المودودى والأستاذ أبو الحسن الندوى والأستاذ مالك بن نبى ووحيد الدين خان وترجمنا كتبهم بفضل الله وكنا رواد فى هذه المسألة .

● لماذا كان توجهكم لهذه الأسماء الكبيرة غير المعروفة فى مصر ؟

- فى الواقع كنت قرأت لهؤلاء العلماء الأجلاء منذ زمن بعيد وتأثرت بهم وكانت هذه

سيد قطب

الأسماء غير معروفة فى مصر فأردت أن أعرف القارئ فى مصر بهم ، لأنهم قاموا بجهد ودور كبير فى خدمة الإسلام والمسلمين .. أبو الأعلى الموردى ليس مفكراً فقط ولكنه مفكر وأديب وصحفى ورجل حركى لأنه أسس الجماعة الإسلامية فى باكستان وهى جماعة عريقة لازالت موجودة على الساحة وهى كان لها انعكاس على الأحداث الأخيرة فى باكستان وأفغانستان وهو من العقليات الفذة التى تأثرت بها كثيراً وأيضاً الأستاذ الشهيد سيد قطب كان متأثراً أيضاً بأبو الأعلى المودودى و كان عقلية موسوعية وناضجة و كان مفكراً من الدرجة الأولى وفى نفس الوقت كان صحفياً أى انه استطاع أن يصوغ هذا الفكر بأسلوب صحفى وأن يقدمه للناس وهذه ليست عملية سهلة فيمكن أن يكون هناك مفكراً فذاً ولكن فكره لا يصل إلى الناس جميعا ويبقى مقصورا على الخاصة فقط فكونه يستطيع أن يحوله لأسلوب صحفى بسيط ويوصله للعامة فهى مسألة هامة .

طبعنا للمودودى كتب (الحكومة الإسلامية) و (الخلافة والملك) و (فرعون فى القرآن الكريم) و (تفسير سورة الكهف) و (سورة مريم) و (سورة الأحزاب) وعشرات

الرسائل التى كتبها .

وهذا الرجل أبسط وأقوى ما فيه أنه كان رجلاً موحداً يؤمن بالله إيماناً راسخاً وهذا أهم ما فى الداعية .

تشعر أن الإيمان يباشر قلبه ولذلك فهو جرئ فى الحق يقول ما يؤمن به حتى أنه قد حكم عليه يوماً بالإعدام نتيجة قوله الحق فى موقفه من قضية القاديانيين عندما هاجم هذا المذهب الذى أسسه الإنجليز ومؤسسه كان يدعى النبوة وهناك الكثير من الناس الذين فتنوا به فهو الذى واجه هذه الآفة .

• ثم ماذا بعد ؟.. ماذا بعد المختار الإسلامى والألف كتاب ؟

- بعد ذلك تنوعت الكتب ، كان الأستاذ أحمد بهجت فى ذلك الوقت يكتب سلسلة فى شهر رمضان تحت عنوان (حيوان له تاريخ) وكان يتناول فيها قصص الحيوان فى القرآن بطريقة جديدة جمع فيها بين العلم والدين واعتمد على القرآن كمصدر أساسى ، وكانت الطريقة الأدبية التى صاغها بها جميلة إذ انه كان يتكلم بلسان الحيوان نفسه (هدهد سليمان حوت يونس ، فيل أبرهه) وقد أثارنى هذا الموضوع ولفت نظرى بصفته فكرة جديدة وأنا دائماً أحب الأفكار الجديدة وأجرى وراءها ، اتصلت به واتفقنا على طبعه فى كتاب وبالفعل صدر تحت عنوان (قصص الحيوان فى القرآن الكريم) ونجح الكتاب وأثبت وجوده ، أما الدكتور مصطفى محمود فقد كان ولايزال يواجه الاتجاه الماركسى فأخذت منه رسالة يرد فيها على الشيوعيين وطبعت منها ٣٠ ألف نسخة بسعر النسخة ثلاثة قروش (مبلغ هزيل جداً) ولكن بحمد الله كان لها تأثير ونفدت كلها ، كان هناك أيضاً أحمد زين فى جريدة الأخبار وهو ممن ساهموا فى تقديم الشيخ الشعراوى هو وأحمد فراج .. الأخير عن طريق التليفزيون وهو عن طريق الصحافة حيث كان يكتب يوميات الشيخ الشعراوى (إلى التى سألت أين الله) وكان هذا سؤال لطالبة جامعية أثار تساؤلات عديدة فرد عليها وقد طبعت هذه السلسلة فى كتاب بنفس الاسم (إلى التى سألت أين الله) الشاهد أن كل هذه الكتب كان له تأثيرها وكنت أخاطب فيه الشباب خاصة طلبة الجامعات وتوالت مطبوعات الدار حتى وصلت ألف عنوان حتى الآن .

مصطفى محمود

• فى تقديركم هذه العناوين كيف كان تأثيرها على الحالة الإسلامية وفى الصحوه الإسلامية فى ذلك الوقت فى مصر وخارج مصر ؟

- كنا نشارك فى معارض دولية وكنا نصدّر كتبنا لجميع أنحاء العالم خاصة العالم العربى، وكان لهذه الكتب تأثير غير عادى لأن فترة

الشيخ كشك

السبعينات هذه كانت فترة الصحوة الإسلامية وكأننا كنا مسخرين لخدمة هذه الصحوه وساهمنا فيها بما أوتينا من قوة لكن الشئ الغريب أن بعض الكتب التى طبعناها وزعت ملايين النسخ منها (كتاب الفتاوى) للشيخ الشعراوى (مليون نسخة) كتاب (معجزة القرآن) وزع مئات الألوف .. كذلك كتاب (حوار مع الشعراوى) ، كتب الشيخ عبد الحميد كشك وزعت حوالى مليون نسخة كذلك كتب (أحمد ديدات) طبعنا منها مليون نسخة كذلك كتاب أحمد بهجت (أنبياء الله للأطفال) طبعنا منه مليون نسخة وقتها كان الجو مناسبا والقوة الشرائية معقولة والأسعار فى متناول الجميع وكانت الحالة الاقتصادية فى البلد منتعشة وهذا شجع الكتاب الإسلامى ، مع الصحوه التى كانت موجودة وتستطيع القول أننا كنا أحد صناعها دون أن ندرى أو ونحن ندرى والله سبحانه هو الذى سخرنا فى خلال هذه الفترة .

• وماذا عن المختار الإسلامى المجلة ..كيف خرجت إلى الوجود ؟

- كانت هناك فكرة راودتنى أيام السجن (١٩٥٥ - ١٩٦٠ المرحلة الأولى) .. إصدار مجلة تشبه مجلة ريدرز دايجست بأسلوب إسلامى لإعجابى بهذه المجلة رغم أنها لم تكن مجلة هادفة كانت مجله أمريكية صدرت فى الأربعينات وكانت تناصر الحلفاء وكانت فكرتها تقوم على تجميع موضوعات طريفه من كل المجلات ففكرت فى إصدار مجله بنفس الطريقة ولكن بصيغة إسلامية وفى سنة ١٩٧٩ قدمت لإستخراج رخصة لإصدار مجلة المختار الإسلامى فكانت الرخصة ممنوعة فى وقتها ، فنصحنى البعض بتكوين جمعية ومن خلال الجمعية يمكن إصدار المجلة باسم الجمعية وفعلاً أشهرت جمعية المختار الإسلامى من أجل إصدار مجلة المختار الإسلامى وقدمت الطلب للهيئة العامة للاستعلامات التى كانت مسئولة عن ذلك وحصلنا على الترخيص وفى خلال شهر أصدرنا المجلة ، وقد كنا نعد لها منذ عشر سنوات منذ عام ١٩٦٩ كنا نفكر كيف تصدر مجلة المختار الإسلامى لتكون مجلة فريدة من نوعها وليست مجلة تقليدية ، وعندما أصدرنا المجلة كنت حريصاً خاصة أن لى تجارب سابقة

أحمد بهجت

أحمد ديدات

الشيخ
الشعراوى

وهى ألا أصطدم ، وفعلاً قدمنا مجلة هادئة تشكل العقل المسلم بفكر هادئ بعيداً عن الإثارة ، وهذا مبدأ المجلة ، وبالرغم من ذلك فإن المجلة عملت دويا وإثاره غير عادية لدى القراء والمسئولين ، وعلى رأسهم وزير الثقافة أيامها الذى أراد مصادرة المجلة ، ولكنه لم يستطع إلغاء الرخصة القانونية واعتبرت نفسى أفلتت بهذه المجلة ، وما أثار استغرابى أن تحدث المجلة رغم هدوءها كل هذه الإثارة ، ولكن هذا الهدوء الذى تتسم به المجلة تغير فالمواقف والأحداث العالمية فرضت نفسها ، فلقد تحولت المجلة الهادئة التى تخاطب العقل إلى مجلة قويه ثورية لها مواقف جريئة وشجاعة من الأحداث الإسلامية فى هذا الوقت مثل الجهاد الأفغانى والثورة الإيرانية والصحوة الإسلامية ، وهكذا تحولت مجلة المختار الإسلامى إلى ضمير

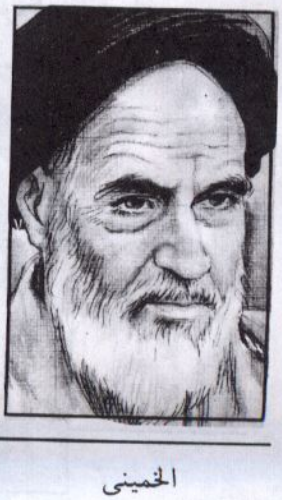

الخمينى

الأمة وأصبحت هى الصوت الوحيد على الساحة التى تواجه كل هذه الأحداث فواجهنا العلمانيين والشيوعيين وغيرهم ، عن طريق كتاب سخرهم الله للمجلة واليوم يوجد ١٥ كاتباً يكتبون للمجلة من الحاصلين على درجة الدكتوراة وعلى مستوى راقى من الصدق والفهم والجرأة والشجاعة أيضاً ، وانا حتى اليوم عندما أقرأ المجلة فإننى أقرأها كقارئ عادى بعيداً عن الساحة أشعر أنها مجلة جيدة.

• كم عدد صدر منها حتى اليوم يا حاج حسين ؟

٢٣٠ عدداً على مدار ٢٣ سنة لم تتوقف سوى ثلاث سنوات عندما صدرت قرارات السادات سنة ١٩٨١ باعتقالنا ومصادرة المجلات الإسلامية الاعتصام والدعوة والمختار وبعض المجلات المسيحية (الكرازه) و (وطنى) وأغلقت مطابعنا ولكننا رفعنا قضية وكسبناها وأعدنا إصدار المجلة .

• المجلة كان لها ملاحق هاجر وزمزم؟

هذه قصة أخرى ، أطفال المسلمين للأسف مهملين رغم أنهم هم شباب المستقبل فأصدرنا مجلتنا الأولى للأطفال واخترنا لها اسم زمزم وتكلمنا كثيراً عن زمزم وتاريخها وسيدنا إسماعيل وكان الهدف هو أن نجعل الطفل يعيش مع القصص الإسلامى والتاريخ الإسلامى ووسائل التسلية البريئة ونجحت زمزم نجاحاً كبيراً حتى أنها كانت تنافس المختار الإسلامى.

و هاجر هى أم إسماعيل وهى أم العرب ،

وذلك لأن المرأة المسلمة مستهدفة وأردنا أن نصدر لها مجلة إسلامية على مستواها ، وكنت قد استشرت الدكتور يوسف القرضاوى بارك الله فى حياته ونصحنى بأن تقوم بتحريرها نساء مسلمات وليسوا رجالاً لأنهن أقدر على التعبير عن بنات جنسهن وفعلاً كونا مجموعة وباقة ممتازة من المحررات وبعد ذلك أصدرنا أيضاً ملحق للشباب بعنوان المسلم الواعد .

ولمواجهة مشكلة الكتاب وغلاء الأسعار أردنا أن نحل المشكلة المادية للقارئ فعملنا له سلسلة كتاب فى مجلة ولخصنا حوالى ٣٠ كتاب من خلالها وكل هذه الملاحق كانت توزع مجاناً مع مجلة المختار وكانت هذه هى مجموعة الصحافة للأسرة المسلمة المرأة ، الطفل ، الشاب ، الرجل لمخاطبة كافة الميول وكنا نخاطب نحو ١٠٠ ألف قارئ مسلم وهذه مسألة مهمة، وقد أصبحت المختار الإسلامى مدرسة لها تأثيرها على القارئ وعلى الحياة الفكرية والإسلامية وخرج منها أناس أصبحوا مشهورين ومفكرين .

• إزاء الحالة الإسلامية بوجه عام ألم تكن تفكر فى مسألة تنمية كوادر صحفية خاصة والجانب الإعلامى كان ينظر باستخفاف للإسلاميين ، فقد كانت الجوانب الحركية هى الأغلب ، وأنتم فكرتم بشكل مختلف ، وأخيراً بدأ الناس يهتمون بمسألة الإعلام الإسلامى ولكنكم فكرتم فيها بشكل مبكر .. فهل هذا صحيح ؟

- الكوادر الإسلامية والكتاب الإسلاميين موجودون من زمن بعيد ولكنهم يحتاجون لمن يلقى عليهم الضوء فمثلاً : نجيب الكيلانى روائى وأديب من الخمسينات وشاعر ومفكر إسلامى وكان طبيبا و لم يكن معروفاً لتجاهل النقاد له لأن اتجاهاتهم دائماً غير إسلامية يساريين وناصريين وغيرهم ، فكانوا يسلطون الأضواء ويلمعون أمثالهم . و سيد قطب يكتب من الثلاثينات و كان أديباً وشاعراً ، و عندما بدأ أديباً سلطت عليه الأضواء لكنه لما تحول إلى إسلامى لم يكن ممكناً تجاهله ، وهو مثال فى مسألة الصياغة والأسلوب الرفيع المستوى السهل الممتنع (فى ظلال القرآن) تُرجم لجميع اللغات وأثر فى المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها بأسلوبه الراقى البديع ، فنحن رواد كإسلاميين ولكن لم تكن هناك أضواء تسلط علينا بشكل كاف .

و من أميز صفات المختار الإسلامى بعد المبدأ والفكرة ، الأسلوب والصياغة (فن الصياغة) وهو الفن الصحفى ، فهناك بعض الصحفيين الصغار اليوم لديهم مواهب متميزة فى الأداء حتى لو كانت اتجاهاتهم غير

القرضاوى

إسلامية إلا أننى أغبطهم على أسلوبهم المؤثر ، هذا الأسلوب الجذاب هو الذى يأسر الشباب. وأنا أقـول إننا لو تعلمنا هذه الصـيـاغـة واستفدنا من تلك القوالب وحولناها إلى اتجاه إسلامى فأنا اعتقد أن هذا نصر كبير جداً وهذا هو دور المختـار الإسلامى أن تصنع كـادر إسلامى يستطيع أن يكتب ، وهناك من خرج من عندنا و أصدر مجلة بل و أصبح رئيساً للتحرير.

● تفكيركم المبكر فى هذه المسألة هل باعتبار أنكم احتككتم بالمجتمع وكان لكم خبرة كبيرة فى هذا المجال؟

- اشتغلت فى بيروت ٤ سنوات كانت فترة مهمة جداً ، وهى بلد فيها التزام وجدية وهى بحق (الواجهه الديمقراطية للعالم العربى) لأن بها الصحافة الحرة من كل الاتجاهات فاستفدنا من هذا المناخ .. وكان فى بيروت تجمع لدور النشر الإسلامية ومن خلالها مارسنا عملنا بحرية واكتسبنا خبرة كبيرة ، مناخ الحرية وتدافع الأفكار يقود إلى تألق الفكر الإسلامى ولذلك عدت إلى مصر مشبعاً بأفكار عديده أريد تطبيقها ، كنا على الساحة حوالى خمس أو ست دور نشر دار الشروق ، المختار ، الإعتصام ، الفكر العربى بدأنا نطور الكتاب نفسه ، ورق جيد ، طباعة جيدة ، غلاف فاخر تصميمات جذابه واستفدنا أيضاً من تطور الطباعة فى السبعينات .

● المختار الإسلامى كمجلة وكدار نشر كان لها طابعها المميز لم يكن لها تصنيف مدرسى معين ، ولا تمثل تياراً معيناً ، فلماذا اعتمدتم منهجا مستقلا عن كل التيارات الموجودة ؟

- هذا السؤال مهم جداً وأنا أشكرك على توجيهه ، نحن أبناء الحركة الإسلامية وما قبل هذا فى الخمسين سنة الأخيرة نواجه مشكلة قليل من يتحرر منها فنحن مسلمون المفروض أن تشملنا كلمة الإسلام ، أما كل التوجيهات والاتجاهات والهيئات الموجودة ولا داعى لذكر أسماء فهى وسائل وليست غايات فمن هنا فكرت أن المختار يجب أن تخاطب الأمة ، فكل من يقول لا إله إلا الله محمداً رسول الله تتجه إليه المختار بخطابها دون النظر إلى توجهه أو الاسلوب الذى يتخذه فى حياته فهذه حريته الخاصة ما دام ينتظم فى الاتجاه الإسلامى العام ، يهمنا الكليات الإسلامية ، شعارها مجلة كل المسلمين . لذلك انتصرنا لكل الاتجاهات الموجودة فى العالم الإسلامى تحت راية الإسلام ، نحن ندافع غن المسلمين فى كل مكان ماداموا يعملون لنصرة الإسلام ولصالحه .

● كناشر كيف تنظر لحالة النشر اليوم مقارنة بالسبعينات ؟

- النشر اليوم يعانى معاناه شديدة ، لأن صحوة السبعينات لا أعتقد أن تتكرر مرة أخرى وهناك من لم تعجبه تلك الاتجاهات لأن لها ما بعدها وطبعاً هناك أيضاً أزمات اقتصادية وظروف سياسية ومع تطور الفيديو والدش والإنترنت و التليفزيون ووسائل الإعلام

الشهيد حسن البنا

احمد عيسى عاشور

الأخرى كل ذلك جذب الشباب ، وفى تصورى أن دور النشر الإسلامية اليوم فى حاجة إلى من يدعمها وعلى المؤسسات الإسلامية أن تقف مع دور النشر الملتزمة لكى تؤدى دورها فى خدمة الإسلام والمسلمين .

• المختار الإسلامى فى هذه الدورة الكبيرة دار المختار كدار للنشر والمجلة تنقلت فى أماكن ولكل مكان ذكرى خاصة فكيف تنظر اليوم لهذه الدورة الكبيرة ؟

- نحن مؤسسة المختار الإسلامى قد أنشأنا مطابع فى وقت مبكر وكانت تؤدى دورا كبيرا فى خدمة الكتاب الإسلامى ، ولم نكن نطبع إلا كتب المختار الإسلامى، ولما أنشأنا مجلة المختار الإسلامى ثم ملحقاتها أصبحنا نعمل فى مجالات عدة .. دار نشر وصحافة وطباعة فكان عندنا تكامل .. كان ينقصنا فقط شركة توزيع تتبنى الكتاب وتسوقه فى أنحاء العالم لكن الضربات المتتالية التى تعرضت لها المختار الإسلامى أثرت عليها بلا شك ، فلقد أغلقت مطابعنا عام ١٩٨١ لمدة ٣ سنوات ووجدنا المطابع بعد ذلك فى صورة سيئة عليها غبار وتراب ، حارس المطبعة وجدنى حزيناً فقال لى شيئاً طريفاً قال : لا تحزن .. المكن بتاعك ده بيسبح ربنا ، نحن بالفعل لم نطبع إلا ما يرضى الله ونحن كأصحاب رسالة وكان هدفنا الدعوة .. كان شئ طبيعى أن نصل لما وصلنا إليه ، لكن لو كنا تجار نعمل من أجل المال كنا غيرنا نشاطنا.

• بالنسبة لعائلة عاشور لها توجهها المعروف ، فهى أحد رموز النشر الإسلامى فهل يمكن أن تحدثنا عن مجلة الاعتصام ؟

- الاعتصام ظلت تصدر خمسين سنة وكان لها دور لا يُنكر وقد أنشأها الوالد وعانى من مشاكل المجلة وعمل مطابع كانت متواضعة وكان يطبع كتباً كان أولها (الفقه الميسر على مذهب الإمام الشافعى) وعدة كتب ومن خلاله تعلمنا المهنة وتعلمنا الإخلاص والصدق والعمل المتجرد لوجه الله تعالى كل واحد له خط ولكن فى النهاية يخدم الإسلام .

الوالد أيضاً سجل محاضرات الشهيد حسن البنا (حديث الثلاثاء) بخط يده مكتوباً طوال سبع سنوات وصدر فى كتاب .

• نعلم أن لكم أحوال مع الرؤى فهل تحدثونا عن بعضها ..لا كشئ خاص وإنما من حيث دلالتها العامة ؟

- لى مع الرؤى جولات دائماً كنت أرى رؤى طيبة وبعضها تحقق و من الرؤى التى أثرت فى حياتى رؤيتين منهم رؤية مثيرة

وأخرى مدهشة منذ ٣٥ سنة ، وتحققت ، كان والدى إمام مسجد قيسون فى منطقة شارع محمد على مدخل المسجد كانت له زاوية حين تدخلها تنعزل عن العالم كنت أيامها فى سجن أبو زعبل فى سنة ١٩٦٥ (المرحلة الثانية) معتقلاً .. وفى يوم ضاق صدرى من كثافة ونمت حزيناً فوجدت مجموعة تحوطنى أشعر أنهم من الملائكة وقالوا لى هيا لنذهب فى رحلة سياحية مضيت معهم حتى دخلت مسجد قيسون المذكور ورغم أنه دور واحد وجدته دورين ، الدور الثانى به مجموعة من الشباب والشابات المسلمين يرددوا لحناً جميلاً ثم أقاموا الصلاة وتقدم الإمام يرتدى عمامة خضراء كبيرة وأثناء الصلاة رأيت الإمام والمجموعة التى خلفه انحرفت فى اتجاه زاوية الساعة و قلت للملائكة التى معى أنه انحراف عن القبلة فقالوا لى : دعه ، ثم وجدت نفسى أمشى فى ممر طويل وهناك امرأة جميلة جداً ترفع يديها وتدعونى إليها قبل أن أصل إليها رفعت صوتى قائلاً أريد أن أرى ربى عدة مرات واستيقظت .

هذه الرؤية كانت شديدة الوضوح حتى فى ألوانها ، فى سنة ١٩٨١ بعد ١٥ سنة من الرؤية جاءتنى دعوة لحضور مؤتمر فى جاكرتا اسمه مؤتمر الإعلام الإسلامى الأول كنت والدكتور محمد عاشور أخى الذى كان يمثل مجلة الاعتصام وأنا أمثل المختار الإسلامى وكان أول مؤتمر إعلامى إسلامى جمع كل الصحفيين وكل من يعمل فى التليفزيون . قبل دخول القاعة رأيت نفس الصفين الذين رأيتهم فى الرؤية يحيوننى ، دخلت فى القاعة رأيت فى الدور الثانى أولاد ينشدون أغنية إسلامية تقول أهلاً ومرحباً بكم بنفس النغمة التى سمعتها فى الرؤية ، بعدها وجدت أن سوهارتو يفتتح المؤتمر قائلاً : نحن دوله لا دينية بل نحن دوله علمانية فى مؤتمر إعلامى إسلامى فقلت هذا هو الإمام الذى انحرف وكانت بالفعل رحلة سياحية .

الرؤية الثانية فى السجن الحربى سنة ١٩٦٥ فى بداية التحقيقات والتعذيب ، وكان قد صدر ضدى حكم ٥ سنوات فى المرحلة الأولى وعرفت أن من يأتى السجن الحربى معرض للتحقيقات وخشيت أن آخذ حكم آخر سجدت لله وظللت أدعو بحرارة وبشكل متواصل حتى كاد قلبى يتوقف من شدة الانفعال ثم أخذتنى سنة من النوم وكانت الساعة العاشرة صباحاً .

رأيت جبريل عليه السلام يدخل الزنزانة بأجنحته الضخمة وأراه بوضوح حتى أرى أثر السفر على أجنحته ويكلمنى بعنف ما هذا الذى تفعله ، إن سيدنا إبراهيم تألم لك وهو

د. محمد عاشور

فى سابع سماء ، ورأيت إبراهيم عليه السلام وهو يضع يده على العرش ويدعوا إرحم عبدك الضعيف ثلاث مرات ، استيقظت منشرح الصدر عالى الهمة وقد ذهب عنى الكرب والحزن ، الحمد لله لقد نجانى ولم آخذ حكما وتحولت لاعتقال لكن المهم أن هذه الرؤية لا تخصنى وحدى بل تخص كل من يمرون بمحنة أن الله معهم ، قبل الرؤية لم أكن أعلم أن سيدنا إبراهيم فى أى سماء ثم سألت والدى فقال لى أنه فى السماء السابعة . هذه الرؤية من أعجب ما رأيت . وعلى قدر فرحى بالرؤيا على قدر خجلى من الله سبحانه وتعالى .. أنا العبد الضعيف يستجيب لى وهو فى عليائه ، نعم لقد خجلت من نفسى واستغفرت ربى كثيرا.

• أحداث أفغانستان الأخيرة ما موقف المجلة وموقفكم أنتم شخصياً منها ؟

- الحمد لله عندما غزا الروس أفغانستان كان للمجلة دور طليعى فى هذا الموضوع وقمنا بواجبنا نحوهم وأنا ذهبت لأفغانستان والتقيت بالمجاهدين والتقيت بعبد رب الرسول سياف وأقمت حوارات مع المجاهدين وكان لنا دور فى الدفاع عنهم ، الآن لا يوجد فرق بين الأمريكان والروس فهؤلاء أعداؤنا وأعداء الله ونحن مع الحق ومع المسلمين وانا اعتبر أن المعركة التى تدور الآن فى أفغانستان هى معركة بين الكفر والإيمان بين اليقين وبين الاهتزاز ، الله قال : ﴿ إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾ ﴿ كتب الله لأغلبن أنا ورسلى ﴾ ﴿ وإن جندنا لهم المنصورون ﴾ .. كل الآيات المبشرات معهم وكما خذل الله الإنجليز والروس فسوف يخذل الأمريكان لأن القضية ليست قضية طالبان ولا بن لادن ولكنها حرب على الإسلام وهى حرب صليبية على العالم الإسلامى كله . ومسألة الإرهاب مصطلحات يصطنعونها .. ولو قُدر أنهم انتصروا على طالبان فأنهم سيلتفتون للمعتدلين وسيقضون عليهم لأنها حرب على الإسلام .. لأنهم يرون الإسلام هو المرشح لقيادة العالم بعد سقوط روسيا .. وسقطت أمريكا فهم يدركون أن الإسلام قادم .. ويريدون تعطيله قليلاً ..

سؤال أخير ياحاج حسين .. ما هى الخبرات التى خرجت بها من تجربتك . كيف ترى كل هذا التاريخ فى مجموعة من الخبرات لكى نقدمها للقراء ؟

- يا أخى إن أهم تجربة قد مررت بها فى هذا المشوار أن تكون صادقاً مع الله سبحانه وتعالى وتخلص له سيكون معك وسيكون نعم المعين .. الصدق قبل أى شئ .. التقوى .. "اتقوا الله ويعلمكم الله ﴾ الله سيلهمك الصواب ويحقق آمالك .

وأن تكون موحدا تفردْ الله بالوحدانية والعبودية الحقة .. وأن ترى الله جل وعلا فى كل أعمالك وتستحضر عظمة الله فى نفسك، عندئذ سوف تكون عبدا ربانيا .

أجرى الحوار : كمال حبيب

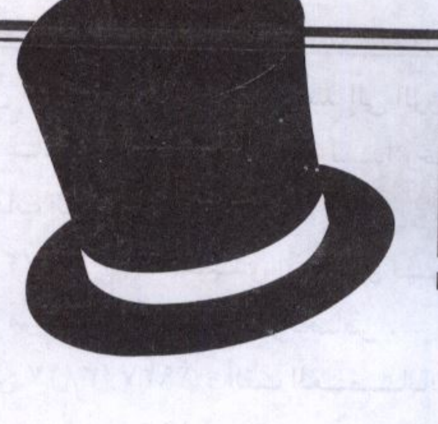

هذا هو الإرهاب:

الملف الأسود لجرائم اليهود

قانا وأخواتها

كان وأخواتها أفعال ناسخة تدخل على الجملة الإسمية فترفع المبتدأ ويسمى اسمها وتنصب الخبر ويسمى خبرها.. معلومة يحفظها طلبة المدارس الابتدائية عن ظهر قلب..

أما (قانا وأخواتها) موضوع ملفنا هذا العدد فلا يحفظه إلا القليلون.. وحتى الذين يعلمون فإنهم سرعان مايتناسون ويحذفون هذه الصفحة من كتابهم كما يمزق طلاب المدارس كتاب النحو عقب الامتحان.. ويمضون ويهرولون ليحيكوا فى الخفاء معاهدات سلام بل قل استسلام.

إلى هؤلاء جميعا جمعنا لهم هذا الملف الأسود لكى يتذكروا.. ويقارنوا.. ولكيلا ينسوا .. قانا ـ تلك القرية الوادعة فى جنوب لبنان التى دخلت التاريخ فى ١٨ إبريل عام ١٩٩٦ عندما قذفت القوات الإسرائيلية مبنى للأمم المتحدة فى لبنان .. فقتلت ١١٠ من المدنيين الذين كانوا قد احتموا به .. فى وقت الهجوم اليهودى على لبنان.

وفى مؤتمر صحفى عقد فى نفس اليوم ألقى بيريز اللوم على حزب الله وسياستهم .. ولم تنجح الدول العربية فى استصدار قرار من الأمم المتحدة يدين المجازر .. هذه ـ باختصار

ـ هى قانا.. فأين أخواتها؟ لنعد إلى الوراء ٦٠ عاما .. إلى عام ١٩٣٦ ولنبدأ رحلة الإرهاب الصهيونى :

١٩٣٦/٤/٣١ : اعتدى إرهابيون يهود على مواطنين وقتلاهما رميا بالرصاص .

فى ١٩٣٧/٣/١٧ : ألقت العصابات الصهيونية أربع قنابل يدوية على مقاه عربية فى يافا ، حيث قتل عربى واحد وأصيب عشرة بجراح .

فى ١٩٣٧/١١/١٤ : أطلق النار على حافلة عربية ، فى حى يهودى ، فقتل ثلاثة من الركاب بينهم امرأتان .

فى أواخر ديسمبر ١٩٣٧ : ألقى أحد أعضاء منظمة "الإتسل" الإرهابية ، قنبلة على سوق الخضار المجاور لبوابة نابلس ، فى القدس فأودت بحياة العشرات من العرب بين قتيل وجريح.

فى ١٩٣٨/٣/٦ : ألقيت قنبلة يدوية على سوق حيفا ، فقتل ١٨ شخصا عربيا ، وأصيب ٣٨ آخرون .

فى ١٩٣٨/٧/٦ : انفجرت سيارتان ملغومتان، وضعتهما عصابة "الإتسل" فى سوق حيفا ، وأدى انفجارهما إلى مقتل ٢١ مواطنا عربيا ، وجرح ٥٢ آخرون، وفى نفس اليوم انفجرت فى مدينة القدس قنبلة يدوية وضعتها عصابة "الإتسل" وأدت إلى مقتل شخصين وجرح أربعة آخرين ..

فى ١٩٣٨/٧/١٥ : انفجرت قنبلة يدوية ألقاها أحد عناصر منظمة "الإتسل" الإرهابية أمام أحد مساجد مدينة القدس ، أثناء خروج المصلين فقتلت ١٠ أشخاص ، وأصيب ٣٠ آخرون .

فى ١٩٣٨/٧/٢٥ : انفجرت سيارة ملغومة وضعتها عصابة "الإتسل" فى سوق القدس العربية فقتلت ٢٤ عربيا ، وجرحت ٣٥ آخرين.

فى ١٩٣٩/٢/٢٧ : فجرت عصابة "الإتسل" قنبلتين فى حيفا ، فقتل ٢٧عربيا ، وجرح ٣٩ آخرون ، وفى اليوم نفسه قتل ٣ من العرب فى تل أبيب وجرح الرابع ، كذلك قُتل ثلاثة من العرب فى القدس وجرح ستة آخرون.

فى ١٩٣٩/٦/١٢ : هاجمت عناصر من عصابة "الهاجاناة" قرية بلد الشيخ بجوار حيفا ، واختطفت ٥ من سكان القرية وقتلتهم.

فى ١٩٣٩/٦/٢٩ : هوجمت ٦ حافلات عربية فى تل أبيب ، ورحوبوت ، وبتاح تكفا ، فقتل ١١ عربيا .

فى ١٩٤٤/٣/٢٣ : نسفت عصابة "الإتسل" منزلا مكونا من أربعة طوابق فى يافا .

فى ١٩٤٦/٧/٢٢ : نسف الإرهابيون اليهود ، الواجهة الأمامية للجناح الأيمن من فندق الملك ـ داود فى القدس وكانت الطوابق

العليا من هذا الجناح تضم المكاتب الرئيسية لإدرة حكومة فلسطين المدنية .

فى ١٩٤٧/٢/٢٨ : وضع يهوديان يرتديان ملابس الشرطة قنبلة فى بنك باركليز بحيفا. فقتل شخصان وجرح شخصان آخران .

فى ١٩٤٧/١٢/١٠ وقعت عدة هجمات يهودية بالقنابل على الحافلات وسيارات الركاب والأجرة فى مدينة حيفا .

فى ١٩٤٧/١٢/١٢ ، قتلت العصابات الصهيونية ١٨ مواطنا عربيا وجرح ٦٠ آخرون فى ثلاث حوادث إلقاء قنابل : الأولى فى القدس ، والثانية على مقهى يافا ، والثالثة على قرية العباسية قرب اللد .

فى ١٩٤٧/١٢/١٤ : هاجم اليهود قرية عربية قرب تل أبيب وهم يرتدون الملابس العسكرية، فقتلوا ١٨ عربيا جرحوا مائة آخرين .

فى ١٩٤٧/١٢/١٩ : قامت عصابة "الهاجاناة" بأمر من الوكالة اليهودية بالإغارة على قرية عربية قرب صفد ، ونسفت منزلين ، واكتشف بين الأنقاض عشر جثث بينهم خمسة أطفال .

فى ١٩٤٧/١٢/٢٩ : ألقيت قنبلة يدوية على بوابة دمشق فى القدس ، فقتلت ١١عربيا ، وجرحت ٣٢ آخرين .

فى ١٩٤٨/١/١ : هاجمت عناصر "الهاجاناة" إحدى القرى العربية فى حيفا فقتلت ١١١ مواطنا عربيا .

فى ١٩٤٨/١/٥ نسفت العصابات الصهيونية فندق سمير اميس فى القدس ، وقتلت ٢٠ من نزلائه معظمهم من العرب .

فى ١٩٤٨/١/٧ : ألقت عناصر من عصابة "الآرغون" قنبلة على بوابة يافا بمدينة القدس فقتلت ١٨ مواطناعربيا وأصبت ٤١ بجراح .

فى ١٩٤٨/٢/٨ : أصاب القناصة من عصابة "الهاجاناة" ١٨ عربيا على حدود يافا ـ تل أبيب ، وقتل عربيان فى القدس القديمة، وقتل ٦ فى حيفا .

فى ١٩٤٨/٢/١٠ : أوقف فريق من المسلحين اليهود عددا من العرب العائدين إلى قرية الطيرة قرب طولكرم وأطلقوا عليهم النار فقتلوا ٧ وجرحوا ٥ آخرين .

فى ١٩٤٨/٢/٢٧ : نسف المسلحون اليهود القنطرة ـ حيفا فقتلوا ٢٧ وجرحوا ٣٦ .

فى ١٩٤٨/٣/١٣ : دمرت عصابة "شتيرن" بناية سلام فى حيفا ، بواسطة سيارة شحن ملغومة أسفرت عن مقتل ١٤ ، وجرح ٢٦ آخرين .

فى ١٩٤٨/٣/١٣ : دمرت عصابة "الهاجاناه" قرية كفر الحسينية ، وقتلت ٣٠ قرويا .

في ١٩٤٨/٣/٣١: نسفت عصابة "الهاجاناة" قطار حيفا ـ يافا أثناء مروره بالقرب من نتانيا فقتل في الحادث أربعون شخصا.

في ١٩٤٨/٣/٣١: لغمت عصابة "شتيرن" قطار القاهرة ـ حيفا السريع فقتل ٤٠، وجرح ٦٠ آخرون.

في ١٩٤٨/٤/٢٢: هاجم اليهود بعد منتصف الليل مدينة حيفا من منطقة هادرا كرمل، فاحتلوا البيوت والشوارع والمباني العامة، وقتلوا ٥٠ عربيا، وجرحوا ٢٠٠، وعندما أخرج العرب النساء والأطفال إلى منطقة الميناء، لنقلهم إلى عكا، هاجمت العناصر اليهودية اللاجئين وقتلت ١٠٠ منهم وجرحت ٢٠٠ أيضا.

في ١٩٤٨/٤/٢٨: نسف الإرهابيون الصهاينة مركز بوليس المنشية في يافا بالمتفجرات ونسفوا البيوت على جانبي الطريق العام، وسدوا الطريق إلى تل أبيب.

العمليات الإرهابية بعد قيام الكيان الصهيوني

بعد قيام الكيان الصهيوني عام ١٩٤٨، أصبح الإرهاب، والقتل الجماعي، وهدم المنازل وتدمير القرى، وتشريد السكان، ومصادرة أراضيهم لإقامة المستوطنات الجديدة لليهود القادمين سياسة عامة للحكومة والجيش الصهيوني.. وقد ارتكب الصهاينة خلال الفترة مابين ١٩٤٨ - ١٩٦٧م عددا كبيرا من الأعمال الإرهابية زاد عددها حسب سجلات الأمم المتحدة عن ٢١ ألف حادثة إرهابية، ومن أهم الحوادث:

في ١٩٥٢/١١/٣: احتل الجنود الإسرائيليون بلدة خان يونس ومخيم الوكالة المجاورة لها، فقتلوا عددا كبيرا من المدنيين، وقد بلغ عدد الأشخاص الذين قتلوا في الهجوم ٢٧٥ شخصا.

في ١٩٥٦/٤/٥: قصف الإسرائيليون مدينة غزة بمدافع الهاون فقتلوا ٥٦ مدنيا وجرحوا ١٠٣ آخرين.

في ١٩٥٦/٧/١٤: فتح الملحق العسكري المصري في عمان طردا فانفجر فيه ومات على إثره بعد بضعة أيام.

في ١٩٥٦/١١/١٢: هاجمت القوات الإسرائيلية مخيم اللاجئين في رفع وأطلقت النار على سكانه، وقد بلغ عدد القتلى ١١١ شخصا.

في ١٩٦٦/١١/١٣: هاجمت قوة إسرائيلية قرية "السموع" في منطقة الخليل ونسفت وأصابت بأضرار ١٢٥ منزلا، من بينها مدرسة وعيادة ومسجد، وقتلت ١٨ شخصا، وجرحت ١٣٠ آخرين، جميعهم من المدنيين.

في ٢/٢/١٩٦٩: تعرض جنود إسرائيليون مسلحون بالهراوات لطالبات المدرسة الثانوية المتظاهرات في غزة وأصيبت ٩٠ طالبة بجراح.

في ٣٠/٢/١٩٧٦ : مجزرة في منطقة الجليل أدت إلى استشهاد ستة فلسطينيين ، وعرف ذلك اليوم بيوم الأرض .

في ٢/٥/١٩٨٠: تم وضع عبوات ناسفة في سيارات ثلاثة رؤساء بلديات وهم بسام الشكعة من نابلس ، والذى جرح وبترت ساقه وكريم خلف من رام الله الذى فقد أخمص قدمه،وأصيبت القدم الأخرى بجراح بالغة، وإبراهيم الطويل من البيرة الذى نجا بأعجوبة.

في ٢٦/٣/١٩٨٣: ارتكب المستوطنون الصهاينة جريمة جديدة ، استهدفت طلاب المدارس في الضفة الغربية المحتلة أسفرت عن إصابة الآلاف من طلاب وطالبات المدارس بالتسمم .

في ٢٦/٦/١٩٨٣: اقتحمت مجموعة من المستوطنين حرم الجامعة الإسلامية في الخليل وأطلقت النار على الطلاب في شتى الاتجاهات فقتلت ثلاثة ، وجرحت ٢٣ آخرين .

في ٢٧/١/١٩٨٤: قام المستوطنون بمحاولة لنسف المسجد الأقصى بواسطة عبوة ناسفة تزن ٢٩ كيلو جراما .

في ١٦/٤/١٩٨٤: تم اختطاف أستاذ محاضر في جامعة بيرزيت من منزله في رام الله، وتم العثور على جثته بعد أسبوعين .

نماذج من عمليات الموساد

في ٨/٧/١٩٧٢: اغتيال غسان كنفاني في بيروت بتفجير سيارته .

في ٢٥/١/١٩٧٣: أسقطت طائرات حربية إسرائيلية طائرة ركاب ليبية من طراز بوينج ٧٢٧ كانت في طريقها إلى القاهرة فقُتل ١٠٦ من ركابها .

في ٦/٤/١٩٧٣: اغتيال باسل رؤوف القبيسي الأستاذ في الجامعة الأمريكية في باريس.

في ١٠/٤/١٩٧٤: اغتيال محمد يوسف النجار "أبو يوسف" المسئول عن تنظيم "أيلول الأسود" على يد كوماندوز صهاينة في بيروت.

في ١٩٧٧: اغتيال محمود صالح ، أحد القادة الفلسطينيين في باريس.

في ٤/٢/١٩٧٨ اغتيال سعيد حمامي ، ممثل منظمة التحرير في تونس .

في ٣/٨/١٩٧٨: اغتيال عز الدين القلق في باريس ، وكان يشغل ممثل منظمة التحرير في فرنسا .

في ١٥/٢/١٩٧٩ اغتيال سمير طوفان عضو مكتب المنظمة في قبرص .

١٩٧٩: اغتيال على حسن سلامة ، عضوالمجلس الثورى لحركة فتح ، وقائد قوات الـ ١٧ ، ورئيس جهاز أمن الرئاسة بتفجير

سيارته فى بيروت .

فى ١٩٨٨/٤/١٦ اغتيال خليل الوزير "أبو جهاد" فى منزله فى "حمام الشط" بالعاصمة التونسية ، من قبل قوة كوماندوز بحرية إسرائيلية .

فى ١٩٩٢/٢/١٧ : اغتيال الشيخ عباس الموسوى قرب النبطية فى جنوب لبنان بصاروخ أطلقته عليه مروحية حربية إسرائيلية .

فى ١٩٩٥/١٠/٢٦ اغتيال الدكتور فتحى الشقاقى ، الأمين العام لحركة الجهاد الإسلامى فى مالطا بواسطة عملاء تابعين لجهاز الموساد الإسرائيلى .

نماذج من العمليات الإرهابية ضد الدول العربية

فى ١٩٦٧/١٢/٢٠ : ضرب الإسرائيليون بالقنابل مخيم اللاجئين فى بلدة الكرامة الأردنية فقتلوا ١٤ شخصا ، بينهم معلم مدرسة وثلاثة أطفال ، وجرحوا ٢٨ شخصا آخرين .

فى ١٩٦٨/٢/١٥ : هاجمت طائرات إسرائيلية بقنابل النابالم أكثر من ١٥ قرية ومخيما للاجئين الفلسطينيين على طول نهر الأردن فقتل ٥٦ شخصا ، وجرحت ٨٢ آخرين.

فى ١٩٦٨/١٢/٢٨ قامت قوات إسرائيلية محمولة جوا بهجوم على مطار بيروت الدولى

فتحى الشقاقى

فدمرت ١٣ طائرة مدنية كانت جاثمة على أرض المطار .

فى ١٩٧٠/٤/٨ : هاجمت الطائرات الإسرائيلية مصنعا بأبى زعبل فقتلت ٧٠ عاملا ، وجرحت ٩٨ آخرين فى مصر .

فى ١٩٨١/٦/٧ : أغارت طائرات تابعة لسلاح الجو الإسرائيلى يقدر عددها بـ ١٤ طائرة على المفاعل النووى العراقى فى بغداد وألقت عليه قنابل زنة ألفى رطل مما أسفر عن تدمير المفاعل .

المجازر الجماعية

من أخطر الأعمال الإرهابية التى ارتكبها الصهاينة سواء أيام الانتداب البريطانى أو بعد قيام الدولة الصهيونية هى المجازر الجماعية ضد المدنيين العزل لبث الرعب والخوف فى نفوس السكان لإجبارهم على ترك أوطانهم ، ويلاحظ أن هذا الأسلوب لم يتغير حتى ارتكاب مجزرة الحرم الإبراهيمى الشريف عام ١٩٩٤م .

مجزرة "بلد الشيخ" فى ١٩٤٧/١٢/٣١ :

أغارت قوة مختلطة من الكتيبة الأولى لـ "البالماخ" و "لواء كارميلى" تحت قيادة "حاييم أفينو عام" على قرية بلد الشيخ وتسمى اليوم تل حنان وقد أسفرت هذه الغارة عن مقتل ستين مواطنا داخل منازلهم، معظمهم من النساء والشيوخ والأطفال .

مجزرة بلدة "حساس" بتاريخ ١٩٤٧/١٢/١٣: ارتكبت عناصر "البالماخ الإرهابية عملا إرهابيا ضد سكان بلدة "حساس"الفلسطينية، وكان جميع قتلى العملية من النساء والأطفال .

مجزرة "دير ياسين" فى ١٩٤٨/٤/٩: نفذت عصابتا "الإتسل" ؛وليحى" باطلاع وموافقة قائد عصابة "الهاجاناة" فى منطقة القدس المدعو "دافيد شالينيل" مذبحة رهيبة فى بلدة دير ياسين الواقعة على مشارف القدس، حيث قتل ٢٥٤ عربيا معظمهم من النساء والأطفال والشيوخ ، وقد استهدفت المذبحة إلقاء الرعب فى قلوب العرب وإرهابهم، لحملهم على ترك قراهم وديارهم .

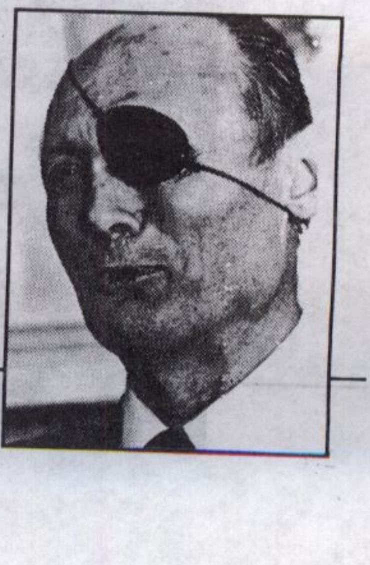

ديان

مجزرة الدوايمة ١٩٤٨/١٠/٢٨: قام أفراد الكتيبة ٨٩ التابعة لمنظمة "ليحى" الإرهابية بقيادة "موشيه ديان" بارتكاب مجزرة جماعية ضد سكان قرية الدوايمة التى تقع غربى مدينة الخليل ، أسفرت عن مقتل مئات الأشخاص من أبناء القرية ، وظلت هذه المجزرة طى الكتمان إلى أن كشفت عنها مراسلة صحيفة "اداشوت" فى سبتمبر "أيلول" ١٩٨٤م .

وفى صباح اليوم التالى للمجزرة (١٩٤٨/١٠/٢٩) مرت المصفحات الصهيونية بالقرب من مسجد الدراويش فى القرية وكان بداخله حوالى ٧٥ مسنا يستعدون لأداء الصلاة فقاموا بقتلهم جميعا بالمدافع الرشاشة ، وفى ساعات بعد الظهر اكتشفت القوات المهاجمة المغارة الكبيرة التى اختبأ بداخلها مايزيد عن ٢٥ عائلة ، فأطلقت النيران عليهم وقتلتهم جميعا داخل المغارة .

مجزرة كفر قاسم ١٩٥٦/١٠/٢٩ والتى وقعت عشية العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ ، ارتكبت العصابات الصهيونية مجزرة دموية فى كفر قاسم راح ضحيتها ٤٩ قتيلا ، و١٣ جريحا ، وبين القتلى ١٢ امرأة و١٠ أطفال بين ٨ و١٣ عاما ، ويعتبر شيمون بيريز - رئيس الوزراء الإسرائيلى السابق - مسئولا عن هذه المجزرة ، إذ كان يشغل فى

ذلك الوقت منصب نائب وزير الحرب الصهيونى .

مجزرة قبية فى ١٤/ ١٥ تشرين أول ١٩٥٣ قامت قوة إسرائيلية تعادل نصف كتيبة تقريبا مؤلفة من جنود الفرقة ١٠١ ، تحت إمرة إريل شارون بالهجوم على قرية قبية فنسفت ٤١ بيتا ومدرسة ، وقتلت ٦٩ رجلا وامرأة وطفلا بصورة وحشية ، والذى أعطى الأوامر لتنفيذ هذه المذبحة هو "دافيد بن جوريون" .

فى ١٩٨٧/١٢/٦ مجزرة حى الشجاعية بغزة، سقط خلالها ٤ عمال فلسطينيين بعد أن دهستهم سيارة إسرائيلية ، وأدت إلى تفجير شرارة الانتفاضة .

١٩٩٠/٤/١٣ مجزرة المسجد الأقصى نفذها جنود إسرائيليون وسقط خلالها ٢٢ قتيلا .

١٩٩٤/٢/٢٥ مجزرة الحرم الإبراهيمى الشريف فى الخليل نفذها مجموعة من المستوطنين يتزعمهم المستوطن "جولدشتاين" وأدت إلى استشهاد ما يربو على ٦٠ فلسطينيا ، وجرح نحو ٣٠٠ آخرين .

الإرهاب الصهيونى فى لبنان

أما الإرهاب الصهيونى فى لبنان فربما يتميزعن غيره فى أى مكان آخر ، فقد تعرض لبنان ومايزال لأعمال إرهابية وعدوانية متواصلة . إلا أن أهم حلقات الإرهاب الإسرائيلى فى لبنان قد بدأت مع الغزو الإسرائيلى للأراضى اللبنانية فى الخامس من يونيو "حزيران عام ١٩٨٣" ، وماتبعها من مجازر ارتكبتها القوات الإسرائيلية الوحشية.

كما ارتكبت خلال ذلك الغزو أبشع مجزرة ضد المدنيين فى التاريخ الحديث وهى مجزرة مخيمات صبرا وشاتيلا ، تلك المذبحة التى نفذتها القوة الكتائبية وميليشيات النمور التابعة للرئيس كميل شمعون ومجموعة حراس الأرز التابعة لاينال صقر بالتعاون مع القوات الإسرائيلية التى تولت إغلاق منافذ المخيمات وإطلاق القنابل المضيئة طوال الليل لتسهيل مهمة القتلة، وزودتهم بالأسلحة والمعدات اللازمة، وداخل مخيمات صبرا وشاتيلا أطلق القتلة نيران المدافع الرشاشة الثقيلة والمتوسطة والخفيفة والقذائف ، وألقيت قنابل ، وجرى نسف مئات المنازل ، واستمرت المجزرة على مدار أربعين ساعة متواصلة ، وقد قدر

بيريز

عدد الضحايا الذين ذبحوا بين أيام ١٦، ١٧، ١٨ "أيلول" ١٩٨٢م بـ ٣٠٠٠ ـ ٣٥٠٠ ضحية من النساء والرجال والشيوخ والأطفال .

عرفات

العمليات الإرهابية التى نفذها الصهاينة بعد أوسلو

لم تمنع اتفاقية أوسلو التى وقعتها "إسرائيل" مع ياسر عرفات من الاستمرار فى أعمال القتل والتصفية ضد الفلسطينيين ومن عمليات الاغتيال التى نفذها الشاباك وعملاؤه فى غزة وأريحا أى مناطق الحكم الذاتى ما يلى :

فى ١٩٩٤/٦/٢٣ : اغتيال ناصر صلوحة ٢٢ عاما اختطفه عملاء الشاباك وقاموا بتعذيبه ثم قتله .

فى ١٩٩٤/١١/٢ : اغتيال هانى عابد ٣٢ عاما بتفجير سيارته فى قطاع غزة .

فى ١٩٩٥/٤/٢ اغتيال كل من كمال كحيل ، وحاتم حسان، وسعيد الدعس، بتفجير المنزل الذى كانوا فيه بقطاع غزة.

فى ١٩٩٦/١/٥ اغتيال المهندس يحيى عياش بتفجير هاتفه النقال لاسلكيا..

ولازالت إسرائيل (الإرهابى العالمى الأول) تمارس لعبتها المفضلة "المجزرة" بآلياتها الأمريكية على المدن الفلسطينية العارية من الحماية تماما تحت سمع وبصر الأمم المتحدة والبلاد العربية .. وإلى اللقاء مرة أخرى مع المذابح الإسرائيلية بعد هذا التاريخ وبدءا من ١٩٩٦ - ٢٠٠١م .

المختار الإسلامى

المختار الإسلامى

مجلة كل المسلمين

أسسها

حسين عاشور

(١٣٩٩هـ - ١٩٧٩)

تصدر فى غرة

أول كل شهر عربى

رقم الإيداع ٦٠٧٠ / ١٩٧٩

رئيس التحرير

د . محمد مورو

سكرتير التحرير

حازم محمد

الإشراف الفنى

على عبيد

المراسلات :

القاهرة ص ب ١٧٠٧

الرمز البريدى ١١٥١١

تليفون ٠١٠٥٨٥٢٧٦٢

فاكس ٧٩٥٢٦٤٠

الاشتراك السنوى :

داخل مصر ٥٠ جنيها

خارج مصر ٥٠ دولارا أمريكيا

المراسلات والحوالات والشيكات

باسم المختار الإسلامى

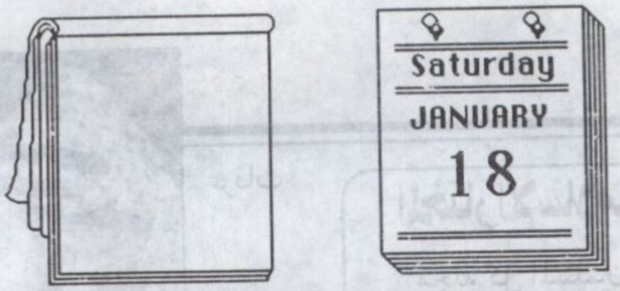

مزراب الأموال المهاجرة

رغم انحصار موجة هجرة الأدمغة وانفضاض عهد تسرب العقول وانفتاح مزراب جديد تتسرب منه القوى العاملة وبربخ مبتكر تدفع منه الثروات القومية من داخل الأوطان إلى مصارف لا يدرك أحد منتهاها ، ورغم حالة الزهد الشاملة فى العلم والمعرفة والابتكار، وانشغال الدول بالكسب السريع وحيلة سلب بعضها البعض وأعمال النهب ممن يقع تحت طائلة ذو السطلة فيها ، إلا أن النقاش مازال يجرى حادا ساخنا عن الأذكياء والمبتكرين الذين تستدرجهم البلاد الصناعية الكبرى فتحرم منهم أوطانهم التى هى أحق بملكاتهم وبما تتفتق عنه عقولهم من اختراعات وتقنيات تفيد البشرية عامة ، وتدفع أهل بلادهم على وجه الخصوص ، فكما يقال إن "جحا أولى بلحم ثوره" فالواقع أن هناك حالة عزوف تام عن العلم والعلماء عمت دول العالم كله كبيرها وصغيرها أعظمها وأدناها رغم كثرة اللغط فى العديد من تلك الدول عن رعاية الموهوبين والحفاوة بأهل المعرفة .

ومن الغريب أن بعد زهاء ربع قرن من انحسار موجة نزوح العقول النابضة بالذكاء والكفاءات العلمية المشتعلة بالرغبة فى الابتكار إلى الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا من الدول النامية والمتنامية بدأت أنشطة الندوات والمؤتمرات والدراسات لبحث المعضلة وأسبابها وارهاصاتها والسعى للحد منها .

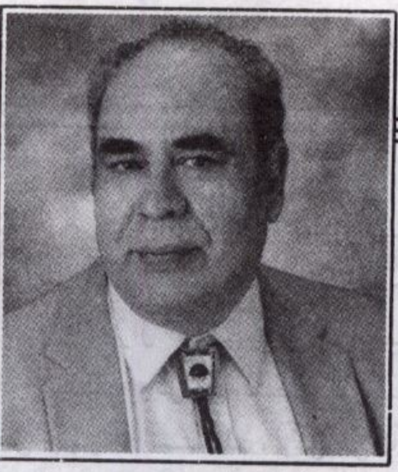

د.عبد الفتاح الحسيني

والأغرب من ذلك هو التغاضي عن ذكر مشكلة قائمة من عقود مضت وهي استئصال الشعور بالانتماء إلى أرض أو موطن تمهيدا لبركان العولمة الذي سيقضي على معالم المعمورة وعلى ملامح الشعوب وخصوصياتها كما أن المؤتمرات تغافلت وما فتئت تتفادى مواضيع الساعة من نزوح القوى القومية العاملة وتسرب الزكائب المالية المتخمة بالثروات القومية دون عودة مرتقبة .

وبعيدا عن التخرصات التي تحيط بالموضوع فإن البلاد التي فاتها قطار التقنية الحديثة لم يعد يعنيها من ولى أو أدبر من أبنائها ، والذي يريد تملك عقل موهوب من أبنائها فليشبع به والذي يسعى إلى إغراء عالم من علمائها فليبله وليشرب ماءه فما هؤلاء إلا عالة على الاقتصاد القومي للبلاد .. فتلك الدول لا تصبو لمجد علمي ولا تتطلع إلى عظمة تاريخية وإنما هي تسعى بلهفة إلى الانجراف مع طوفان الانتعاش المالي الذي يقوض اقتصاديات الشعوب والتعلق بأهداب الستائر الحضارية التي تخفي وراءها ألوانا مستحدثة من الهمجية حيث استبدلت أنياب الوحوش الضارية بأشعة الليزر التي تنهش في الحجر الصلد وتصهر الحديد والصلب .

مخلفات الحرب

تمخضت الحرب العالمية الثانية عن جيل لم ينقرض بعد من أغنياء الحرب الذين نمت ثرواتهم بالاتجار مع طواغيت التدمير الذين خربوا المعمورة وحمامات السلام التي رفرفت على رؤوس البشر ترميهم بوابل من الزبل وتحجب عنهم أضواء الشمس بعد أن تدنسهم بالبول ..أولئك الأغنياء أثروا لأنهم يبيعون لكل من يشتري ، لا يضيرهم إن كان عدوا أو حليفا ، ويحصلون على البضائع من كل من يبيع بعضهم بمثابة السماسرة لا ينتجون ولا يصنعون ولا يخزنون البضائع وإنما يسعون بين البائع والمشتري لقاء عمولة وبعضهم كمثل القواد يفرض إتاوة على كل ما يجري في سوق البغاء .. وهم يوردون المحارب والنعش والمقبرة والفأس الذي يحفر القبور ويزفون إلى المقبرة من يشيع الضحية ويصلي عليها ، ويمولون السلاح والطعام واللباس والشراب ، ويبيعون الكلام والشعارات لمن يعوزه لسان .. وينقضون كالطيور الجارحة على غنائمهم عندما تلح الحاجة فيغالون في الأسعار ويسعون إلى احتكار أرزاق الخلق ويغبنون الناس حقوقهم .. شغلهم الشاغل هو جمع المال لا يضيرهم مصدره ولا يتورعون عن أكل أموال الناس بالباطل .

كما أن الولايات المتحدة الأمريكية تمتعت بفترة من الرخاء عقب انفضاض الحرب ، ذلك لبعدها عن مواقع المعارك الدائرة أثناء اشتعال النيران وجهدها فى مد حلفائها بالوقود الذى أخمد النار ، إذ لا يحد من انتشار اللهب وتفشى النيران فى الغابة إلا إحاطتها بطوق من اللهيب المشتعل .

لذلك فإن كل من تمعن فى أحداث التاريخ الحقيقى واستقى العبرات وجد أن أسرع سبل الإثراء هى تمويل الحروب والتجارة مع جميع الأطراف المتنازعة ، أو إشعال الحرب بعيدا عن الديار وتزويد المتحاربين بالمؤن والعتاد .

لهذا فإن المنافسة الجارية بين الدول العظمى بعد مرور قرابة نصف قرن على الحرب العالمية تتمركز على التسابق فى سوق السلاح ومد يد العون الخيرى والنجدة الإنسانية إلى ضحايا الحروب المشتعلة فى كل مكان بالطعام والكساء والدواء حتى يطول باعهم وتتلاحق أنفاسهم فلا يملوا القتال مع جار ، وتشتد سواعدهم فيبدأوا معارك جديدة كلما خمدت نيران حرب ..

والمنافسة تشمل توريد الجديد من أدوات القمع حتى لا تصدأ أسلحة إخماد أنفاس الشعوب فى جرابها ، وتزويد الأفواه بما يتخم من المأكل حتى تكتظ البطون وتمسك الرئة عن التنفس ويشكو الجسد من العلل فيزيد الطلب على الدواء الذى ينشر الوباء والعقم بين من لا يملك قرار المزيد من الشراء .

هجرة الزكائب المالية

كذلك أثرت بعض الدول وعلى رأسها سويسرا من حيادها إبان الحرب العالمية حيث هرّب إليها الأموال كل من سعى إلى السلطة أو ترك السلطة ، وكل من انتصر أو انهزم ، وكل من تجبر أو استسلم ، وكل من ثأر أو انقلب على عقبيه .

لهذا قامت حركات الحياد الإيجابى وتكونت دول عدم الانحياز طمعا فى اقتناص أموال الفارين من عروش تقوضت ، وإيواء الثائرين على أنظمة قائمة حتى يمكن مشاركتهم فى نهب إيرادات ثوراتهم من الأموال التى تمولهم وتعضيد تجمعات مقاومة همها جمع المال من كل من اشتعلت نفسه بالحماس فسلم ثروته دون مقاومة .. غير أن اللعبة كانت ساذجة إذ عجزت أيديهم عن تصريف الأموال المختلسة وضاقت الخزائن بالمال فلجأ أهل الحياد ممن عازهم الذكاء إلى تهريب أموالهم إلى البنوك المحترفة فى الدول الأكثر حيادا .. وهكذا تم تأسيس بنوك خاصة بالأموال المهربة ، بعد أن وضعت الحرب أوزارها ، وهكذا شهدت نهاية القرن الماضى حدة التسابق على فتح المصارف المالية المتخصصة فى خزن أموال كل من خاف على عمره من ناسه فسلبهم أقواتهم تأمينا لمستقبل لن يراه ، وكل من تاجر فى سلع الحروب والقلاقل والمناوشات ودس الطعام فى أفواه المدافع ، وكل من امتدت يده الطويلة إلى مال عام ليس من حقه بذريعة أنه مؤتمن على خزائنه .

ولم تعد المراكز المالية التى توارى سوءات اللصوص وقطاع الطرق وحاملى السيوف والحراب حكرا على سويسرا فدخل فى سوق البنوك دوقيات وإمارات صغيرة فى أوروبا مثل إمارة لينكستين وجزر فى البحر الكاريبى مثل الجراند كيمان .

وفاقت البنوك الجديدة المصارف القديمة فى المقدرة على كتمان هوية المودع والتفنن فى صيانة سرية أرقام الحسابات حتى أن أصحاب الأموال المهربة جهلوا أرقام حسابهم .. وانشغل مهربو الأموال بجمع كل ما تقع عليه أيديهم الطويلة من ثروات الشعوب وشغلهم جشعهم عن رعاية ما اكتنزوا فازداد ثراء البنوك المودعة سرا لاستحالة سحب ما أودع فى خزائنها خاصة وأن مصير العديد من أصحاب الثروات المهربة إما القتل أو أن ينفق كالبهيم فى حظيرته بعيدا عما اختزن من علف.

ولم تكن بنوك الدول الكبرى لتحجم عن التنافس فى سوق المال النازح عن أرضه فتكونت بنوك عالمية وفتحت بنوك نيويورك ولندن وباريس وتل أبيب أبوابها على مصراعيها للمودعين الأجانب دون سؤال عن مصدر المال رغم أنها لا تقبل إيداع أموال مشبوهة أو مغفلة الهوية من المواطنين .

وأصبح مهربو الأموال أكثر جرأة بعد أن توطدت قواعدهم فى البلاد التى نهبوها بتعضيد من الدول التى تنشئ البنوك ، وبطبيعة الحال لم يعد هناك حاجة لمشقة الأرقام السرية فمودع المال لا يقدر على سحب ما أودع إذا تعارض ذلك مع سياسة الدولة المؤتمنة على الأموال ، وما كان لودائع مغتصبة أن تكمن آمنة فى خزائن من فولاذ وحامل المفاتيح يدرى أن الأموال ليست ملكا للمودع حتى لو صح القول بأن اللص خير من يؤتمن على المال المسروق .

قال تعالى : ﴿إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين ، وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد فى الأرض ، إن الله لا يحب المفسدين قال إنما أوتيته على علم عندى أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون ، فخرج على قومه فى زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتى قارون إنه لذو حظ عظيم ، وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها إلا الصابرون ، فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين ، وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن مَنّ الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون﴾

.... (القصص : الآية ٧٦ - ٨٢)

دول غنية لشعوب معدمة

من عجائب الحياة المعاصرة أن أكثر الدول غنى بالمصادر الطبيعية والثروات البشرية هي أكثرها ترديا في الفقر ، مثالا لذلك دول أمريكا الجنوبية أو أمريكا اللاتينية ، فالمكسيك مثلا من أكبر الدول المصدرة للنفط في العالم حيث تعمل جلة الشعب في ضخ النفط وتكريره وشحنه ويلقى العديد من الناس حتفهم في عمليات الحفريات وتنفس الغاز واستنشاق العادمات الملوثة للهواء وتجرع المياه الملوثة بنفايات النفط وغيره من عمليات الحفر والتنقيب .. كما أن البلاد حافلة بمصانع السيارات التي يستحيل على القائم على تصنيعها من شرائها فتصدر غالبيتها إن لم يكن كلها إلى الخارج ، كما أن هناك صناعات عديدة أخرى منها صناعة الحلي والأثاث والملابس والإنتاج الزراعي الضخم الذي يتم شحنه إلى الشمال .. ورغم كل هذا فالشعب المكسيكي يعاني من الفقر المدقع وغالبيته لا يملك من الطعام والملبس ما يتعدى مستوى العدم .

والمحظوظ منهم هو الذي يستطيع الفرار عبر الحدود إلى الولايات المتحدة الأمريكية لينضم إلى قوافل عمال التراحيل التي تجني المحاصيل الزراعية لقاء الكاد من المأكل والماء القراح ، وسعيدة الطالع منهم التي تلتحق بما يسمى "دكاكين العرق" حيث تقوم بحياكة الملابس لقاء دراهم معدودة لا تكفي قوت يومها .. وعلى الخير منهم أن يشد حزام البطن ليرسل إلى عائلته البعض من القليل الذي يكسب بعرق ساعات من العمل الشاق المتواصل حتى يتكفل بأهله فلا ينفقون من الجوع ولا يفتك البرد والوحوش الضارية بأجسامهم الملفوفة بالخرق البالية .. ورغم أن الفارين عبر الحدود من أرض العوز والحاجة يعانون ضيق العيش ومرارة الغربة والحرمان من الأهل والولد فإن الآلاف منهم يعرضون حياتهم للخطر بالتسلل ليلا عبر الحدود وكثير منهم يموت أو يُقتل قبل أن تطأ قدماه أرض الميعاد حيث يعيش حياة خوف وهلع تطارده السلطات لدخوله البلاد دون تصريح .. كما يدفع المتسرب من الجنوب مبالغ كبيرة إلى من يهربه عبر الحدود معرضا نفسه لمخاطر أقلها الحبس في السجون وضياع ما دفعه إذا لم يمت في الطريق من الجوع أو العطش .. إن كان هذا هو الحال العامة من الناس فأين ذهبت المليارات من الدولارات العائدة من تصدير النفط والمنتجات الزراعية والصناعية ؟..

الجواب على هذا التساؤل المنطقي هين على من تضخمت خزائنه من عرق العامل الكادح ومن دم من التهم قوته ترس ماكينة ووقع فريسة السندان والمطرقة ، والجواب مفحم لكل من رضى بالهوان وألف ضيق الحال وسوء المآل .. فمن الأعذار الدارجة أن تعداد السكان في تزايد مطرد وأن عدد الأفواه المتلهفة للمأكل والأجساد العارية التي يلزم سترها والأجسام المريضة التي يجب علاجها من سقامها لا يكفيها كنوز الأرض كلها حتى لو اجتمعت في

خزينة مال البلد .. كما أن الدولة عليها ديون هائلة لا تقوى على تسديدها من السنين العجاف التى مرت بالبلاد فى العهود السابقة من التسيب وقلة الصادرات وسوء الحالة الاقتصادية والفساد الذى استشرى بين من كان فى يدهم مقاليد الأمور .. ثم إن الدولة تنفق أموالا طائلة على مشاريع استثمارية لتنمية الحالة الاقتصادية حتى يصبح المستقبل ورديا للأجيال المقبلة .. أما الجواب الصحيح على مثل هذا التساؤل فبسيط غير معقد ، لكنه يكمن فى خزائن البنوك فى نيويورك حيث تورد مدفوعات صادرات المكسيك يوميا إلى خزائن مغلقة عليها أقفال لا تمسها يد العابثين بالأموال من الشعب ، وإنما تحرسها كلاب استأمنهم الشعب على ثروته .. وأما تكاليف العمال والإنتاج فى المكسيك فتتكفل بها الديون المرجأة والقروض التى كثيرا ما يصدر قرار دولى بمعافاة المكسيك من دفعها بهذا فالناس تشقى وتكدح لتصدر الدولة المنتجات دون أن يعود عليها من العمل أو الصادرات غير المزيد من الشقاء والكدح .

ذنب من ؟

إدعاء أن الحفاظ على دخل الدولة من المساعدات والمعونات وإيراد الصادرات لا يتحقق إلا بإيداعها بعيدا عن متناول الشعوب أمر ألفته أمم كثيرة .. فإن الشعوب ليست على وعى كاف بما فيه صلاحها ورخاؤها والعمل على ادخار القرش الأبيض لليوم الأسود المطر .

وإذا كان الناس على غفلة من رعاية مصالحهم فعلى ولاة أمورها حمايتهم من تخريب المغرضين وفساد المضللين والساطين على ثروات الأمة .. وقد سن هذه السنة زعيم غابر بعد هزيمة مخزية إذ أودع ما تبرع به أهل الخير من مال لإصلاح ما تدمر من مصالح الناس فى حسابه الخاص فى بنوك سويسرا خوفا من الأيدى المخربة والضمائر الانتهازية المضادة لرقى شعبه أن تعبث بالأموال وتحرم الناس منها .

وبالطبع لا أحد يدرى مصير الملايين التى تكدست فربما آلت الأموال لورثة الزعيم عندما نفق وربما دفعتها بنوك سويسرا تعويضات لضحايا النازية من اليهود ، وعلى كل فمصير أموال التبرعات واحد فى كلتا الحالتين .

ومثل آخر الأرجنتين التى تورد لحوم الأبقار المعلبة وغيرها لأنحاء العالم منذ بداية القرن العشرين ورغم هذا فإن المجاعات فى الأرجنتين والموت من الجوع اعتاد عليه الناس والعبرة الأكبر فى البرازيل التى تقوض شركات الأدوية غاباتها لاستخلاص العقاقير والتى تصدر كما هائلا من الدواجن لإطعام الشعوب الأخرى ولا يعود على الناس من كل هذا إلا الفقر والضياع ، أما الفليبين فكانت تؤجر أرضها لقاعدة أمريكية على أن يُدفع الإيجار لحساب فرناندوز وزوجته فى مصارف نيويورك ، فمصروفات العائلة المترئسة هائلة ولا تكاد تسد من احتياجاتها واردات المال السنوية للبلاد .

هجرة رؤوس الأموال

تنافس الدول فى سوق تجارة المال حدا ببعضها إلى سن قوانين لتشجيع هجرة رؤوس الأموال إليها ، فسويسرا تمنح الجنسية السويسرية لكل من بنى بيتا أو أسس مصنعا حتى إن لم تطأ قدماه أرضها .. وليس غريبا أن يحصل على الجنسية من يودع ما اكتنز من مال اقترفه فى بنوكها على أن لا تُمس الوديعة لزمن طويل .

وسرعان ما انتهجت دول أخرى مثل ذلك النهج فى سياستها الاستيطانية ، فكندا مثلا منحت الجنسية لأساطين التجارة والمال فى هونج كونج الذين كانوا يخشون مغبة انتقال ملكية بلادهم من بريطانيا إلى الصين .

ومازالت الجنسية الكندية معروضة للبيع لكل من أودع فى بنوكها العديد من الملايين .. ولا يتطلب ذلك أن يقوم المتجنس بزيارة كندا فسبل نقل المال من دولة إلى دولة لم تعد قاصرة على تهريب الذهب أو حقائب الأموال عبر الحدود .

ومن فترة قريبة قامت الولايات المتحدة الأمريكية بمنح الإقامة الدائمة لكل من يستثمر استثمارا رئيسيا فى تكوين شركة أمريكية جديدة أو إنعاش شركة قائمة .

دارت الرحى

قفزات التطور فى تقنية التصميم والتصنيع خلال القرن المنفلت أدت إلى تحول جذرى فى سوق العمالة خاصة فى بداية العقد المنصرم ، إذ أدت ظاهرة الاستغناء عن المهارات الحرفية والهندسية التى عمت البلاد الصناعية إلى ازدياد الحاجة إلى أجسام مقتدرة على الأعمال المرهقة لساعات طويلة لمزاولة المهن الدنيا التى لا يعوزها غير ساعد متين لا يجهده الرفع والخفض أو قدم لا يمل الوقوف ولا ترهقه طول ساعات العمل لتحل محل العقول المفكرة القادرة على الابتكار .. هذا لأن التقنية بلغت المستوى الذى كانت ترنو إليه أنظار شركات الإنتاج وحان الوقت لها أن تحصد ثمار استثماراتها فى البحث والتطوير وتركز جهدها على جنى الأرباح الهائلة خاصة بعد أن طوت القبور رفات مؤسسو الشركات وسيطر على الشركات المحاسبون والمرابون وأصحاب الأموال فبدلا من السعى وراء ما هو جديد فى التقنية لزم بيع ما تمخضت عليه التقنية السالفة من منتجات وبدلا من تطوير المنتجات إلى أفضل أصبح من الأجدى تغيير غلافها وتعديل شكلها أو تزويق سطحها وتنميقها حتى

يتدافع على شرائها المستهلكون خاصة الذين لا يضيرهم المخبر إذا ما خلبهم المظهر .

واستشرت ظاهرة الربح السريع والدأب على الفحش فى تراكم الأرباح حتى شملت المستشفيات فتحولت المؤسسات الطبية إلى مراكز ربح بدلا من مواطن علاج ورعاية صحية وتم إلغاء منصب كبير الأطباء كمسئول يرجع إليه العاملون فى المستشفيات ويشرف على جودة الممارسة الطبية ليحل محله كبير الموظفين وهو دور يقوم به شخص لا علم له بالطب لكنه يتقن إحصاء النقود والعمل على تضخيم حجم الأرباح .

مع هذا التغير أوصدت أبوابها الوظائف المجزية والمناصب التى تقتضى قدرا من الذكاء بينما فتحت أسواق العمالة مصراعيها للقائم بتقليب هامبرجر (من لحم لا يصلح لاستهلاك الآدميين) على النار ، وللندل الذى يقدم المشروبات على المقاهى وفى المنتديات والخمارات ، ولحرس المبانى والقائمين على تنظيفها ، ولكل من لا يتقاضى لقاء خدماته إلا دراهم قليلة لا تكفى حاجة معيشته .

لهذا فقد كان غريبا أن تعلن الحكومة الأمريكية انخفاض معدل البطالة فى الولايات المتحدة الأمريكية فى نفس الوقت التى استغنت فيه الشركات والمصانع عن خدمات آلاف المهندسين والخبراء وتخلصت الجامعات من العديد من الأساتذة وأغلقت أبوابها عشرات من مراكز البحوث .. إلا أن الحكومة كانت صادقة فقد تكاثرت الأعمال الدنيا إذ ازدهرت محال الأطعمة السريعة وانتشرت أندية القمار حتى دخلت كل حى بعد أن اقتصرت على مدن ثلاث فى القارة كلها .

كما تحولت شركات مثل شركة جنرال إليكتريك إلى مصرف مالى للقروض والتمويل بعد أن نفضت عن كاهلها أئمة الابتكار والخبراء فى العلوم والهندسة وباعت أبنيتها لصالات القمار ومحلات الأطعمة الجاهزة وأعارت اسمها لشركات أجنبية لتبيع ما اشتهرت به من معدات كهربائية .

هكذا دارت الدائرة فتحول أصحاب المؤهلات العالية إلى البحث عن أعمال مجزية فى دول أخرى ، والمحظوظ منهم من يستطيع تسويق نفسه لدولة نامية على أنه خبير ليس على خبرته أحد .. ولجأ البعض إلى العمل فى سوق المال حيث يباع الدولار بدولار ونصف .. والكثير أبى أن يحط من قدر نفسه فيشتغل فى الأعمال المتاحة فى قطاع جديد أطلق عليه من باب المواربة اسم "صناعة الخدمات" وإن كان الأحرى به أن يسمى "قطاع تجارة القوى البشرية الرخيصة" لأن القطاع لا يصنع شيئا ولا يؤهل أحدا لحرفة .

لم يعد حلم الصبى الأمريكى أن يكون عالم ذرة أو مهندس معمارى أو مدرسا أو كاتبا ، بل أصاب الجيل الجديد الوهن وحب الكسب السريع فعزف الكثير عن التعليم ولو لم يكن التعليم الابتدائى والثانوى إجباريا ما شغل أحد باله بالتعليم من البداية ، وأصبح منتهى ما يصبو إليه الشباب هو أن يسوق عربة نقل

أو يشتغل فى عمالة الإنشاء ، ومنهم من لا يتطلع بعيدا ويكفيه أن ينضم إلى قطاع صناعة الخدمات .. وأما من امتلكوا موهبة فنية فيتصارعون على الولوج فى عالم التمثيل والرقص والغناء فينتهى جلهم إلى حياة الشوارع والوقوع فى مخالب القوادين وتجار المخدرات .

هجرة الأجسام القادرة

اللهفة على الدولار حدت بشباب شعوب أخرى نامية السعى جاهدين للنزح على أوروبا وأمريكا للقيام "بأى عمل" على حد التعبير الشائع أو بمعنى أدق العمل فى قطاع "صناعة الخدمات" الذى عزف عنه الكثير من أهل البلاد .. ومن المضحك أن تقوم الدول الثرية بوضع العراقيل أمام نزح الأجسام القادرة إليها رغم حاجتها إليها ، حتى تزين لهم ما هم بصدد الحصول عليه من رذيل العيش .. فعلى من يرغب العمل فى تلك الأعمال الدنيا أن يتسرب إلى البلاد بطريقة غير قانونية ويختفى عن الأبصار التى قد تلاحقه فلا يمشى إلا متلفتا حواليه كلص بليل يجوب الأزقة والحوارى الخلفية ولا يعيش إلا فى غياهب الجب أو تحت الأرض .. وحتى يحلو الوضع الشائك للمغامرين وأصحاب الطموحات المالية يدفع المتسرب من الجنوب مبالغ كبيرة إلى من يهربهم عبر الحدود .. أما القادمون بالبحر فمنهم من يختبئ فى بالات وصناديق الشحن .. غير أن أصحاب المقدرة من راكبى الطائرات فعليهم دفع مبالغ طائلة للحصول على تصريح دخول سياحى سواء كرشوة أو إكرامية أو أجرا لنصاب يتاجر فى أحلام المراهقين ، ولما كان القانون الأمريكى والقانون فى العديد من دول أوروبا يعاقب صاحب العمل على توظيف من ليس له صفة قانونية فى البلاد فليس أمام النازحين من فرص عمل إلا العمل بصورة غير مشروعة مما يحرمهم من حقوق العمال الآخرين مثل الحصول على أجرة لا تقل عن حد أدنى تحدده الحكومة .

لهذا فإن أصحاب الأعمال يقبلون على استخدام هؤلاء الغرباء يدفعون لهم ما يجودون به .. بهذا يستطيع صاحب العمل استئجار عشرة أجسام قادرة بسعر واحد قد يكون غير قادر من الأمريكيين .

مثلا لذلك عشرين طالبا يعملون فى مطعم يهودى بنيويورك ، يفترشون الأرض أثناء الليل ويأكلون من بقايا الطعام الذى يقدمه المطعم ويؤجرون على عملهم عدة دولارات كل أسبوع تساعدهم على إثبات ما أنجزوه من سعى وراء الغنى فى البلاد التى استضافتهم أمام رفقاء لم تتاح لهم فرصة السفر من بلد لا يقدر كفاءات أهله .

والمستفيدون من هذا الوضع فى الولايات المتحدة الأمريكية .. مثلا .. كثيرون منهم ما يسمى بدكاكين العرق حيث يستورد أصحابها آلاف الفتيات لخياطة ملابس السيدات لقاء مطعمهم ومأواهم واللمم من المال لإرساله إلى أهاليهم ، والعديد يعمل فى حصد المحاصيل خاصة الفواكه والخضروات .. كما أن من

هؤلاء الخدم حتى أن واحدة من المرشحات لمنصب النائب العام الفيدرالى كانت تستخدم عائلة بكاملها لقاء المأكل والمأوى .

ويساعد على استمرار هذه المهزلة البشرية التى لا تخلو من المخاطر المفتعلة حملات الترويج الشخصى والإعلامى لها .. فكل من يعود إلى وطنه يحدث بلباقة عن الترف والنعيم الذى عاش فيه ويعتذر عن قلة ما عاد به من المال على أنه آثر التمرغ على بساط العز على أن يقتصد ويعود إلى الكرب والضنك مثقل الجيوب .

وإذا كان أجر الجسم القادر على اللأواء رخيصا فالكلام أرخص ، وفى غيبوبة الحلم بالغنى والترف قلما يكون هناك بين المستمعين من يتحقق من الأمور أو يستقصى الأحداث أما الإعلام فهو الآخر يدلى بدلوه ، فقد جاء على لسان أحد الممثلين فى إحدى الحلقات التليفزيونية يوضح كيف كون ثروته التى تقدر بعدة مليارات ، فقد نزح إلى أمريكا وكان يعمل "أى كلام" أو بالأفصح يغسل الأطباق فى مطعم فاستطاع أن يدخر مليون دولار فى عام واحد ، وعاد إلى بلده بالمليون لينشئ مشروعا ناجحا وفى ظرف سنتين أصبح صاحب مليارات .

وبالطبع لم يذكر ما هو المشروع .. وبحسبة بسيطة يمكن التحقق من الكذب الصراح الذى أورده كاتب الحلقات على أنه مستلهم من قصة واقعية ، فلو أن صاحبنا عمل ليلا ونهارا دون أن ينام فإن أجرته فى الساعة ستزيد على ١١٤ دولار فى الساعة بينما الحد الأدنى للأجور ٤ دولار .. ولو أن غسل الصحون فى أمريكا أو أى بلد آخر يحصل على مثل هذا الراتب لترك كل الأمريكان وظائفهم بما فى ذلك حكام البلاد واشتغلوا بغسيل الصحون حتى تم تنظيف أطباق العالم كله .. إلا أن مشاهد الأفلام والحلقات لا يدقق وكفاه أن يفغر فمه ويشهق إعجابا لا تعجبا مما يقال .

وهكذا بالتدريج تتحول الشعوب النامية إلى عمال سخرة فى بلادهم أو عمال تراحيل فى بلاد أكثر غنى فالاقتصاد العالمى الجديد فى حاجة إلى أجسام قادرة .. وهكذا يتخلى أهل البلاد الفقيرة عن أى عمل يستلزم استحضار المخ أو إجهاد العقل ليفسحوا مكانا لهجرة الأدمغة من الدول التى ملكت القرش وخسفت سعر الابتكار حتى أصبح ثمن العقل الآدمى أقل من ثمن أوقية من مخ خروف .

وليس مستبعدا أن نشهد مؤتمرات تعالج قضية هجرة الأدمغة المتحضرة ، غير أن هذا لن يحدث عن قريب فلايزال العلم مشتغلا بعلاج معضلة هجرة الأدمغة من الدول النامية إلى الدول التى نمت وترعرت .

﴿إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس﴾

.... (آل عمران : ١٤٠)

د. عبد الفتاح الحسينى

الولايات المتحدة الأمريكية

الهوجة

فى خضم الهجمة الأمريكية الجديدة على العالم الإسلامى تحت شعار مكافحة الإرهاب ظهرت موضة جديدة هى الحديث عما وصف بتجديد وتحديث الخطاب الدينى الإسلامى وحده وليس المسيحى أو اليهودى أو العلمانى الذى يفترض أنه برئ من كل الخطايا .. وفى هوجة الحديث عن تجديد هذا الخطاب الإسلامى والمقصود بها علمنة وتقريب وأمركة الحديث والمصطلح والمفهوم الإسلامى برزت أصوات بعضها مضحك فى تهافته لإرضاء الأسياد الأمريكان ، ومن هذه الأصوات شخص مغمور تسميه المجلة التى يكتب فيها باسم "كاتب عربى" .

ووقف هذا الكاتب العربى ينعى على الأمة تخلف علماء المسلمين ويقول إنه عندما يستمع إلى القداسات المسيحية المذاعة فى شتى محطات العالم الإذاعية والتليفزيونية فإنه يرى خطابا مدهشا ومتقدما ورائعا بالمقارنة مع الخطاب الإسلامى المتخلف والرجعى والمتزمت الذى يسميه فى خطب الجمعة ومواعظ المساجد. وبعد أن يقول لنا هذا الكاتب العربى بهذه الطريقة أنه مثقف للغاية ويستمع إلى القداسات

د. محمد يحيى

المسيحية العالمية يقترح وضع المساجد تحت وصاية الجامعات فى منطقتها حسب التوزيع الجغرافى بحيث يتولى الأساتذة المستنيرون وضع الخطب والدروس والمواعظ الدينية ويدفعوا بها إلى الأئمة والمشايخ لقرائتها وبذلك نتجنب تخلف الخطاب الدينى الإسلامى .

وهذا الكاتب الظريف جدا يكشف بنفسه عن جهله وليس عن ثقافته .. إن خطاب القداسات المسيحية الذى ينبهر به هو خطاب قد أصبح معلمنا بالكامل ، ولم يعد يقتنع أحد فى العالم الغربى .

ومن الطريف أنه فى يوم نشر مقاله كانت الإذاعة الألمانية تقدم برنامجا يقول :

إن الكنائس أصبحت خالية فى ألمانيا باستثناء البعض فى فترة أعياد الميلاد .. وأضافت الإذاعة قائلة :

إن الكنائس الألمانية الكبرى من شتى المذاهب تعيش أزمة خطيرة تتعلق بوضعها فى المجتمع .. والواقع أن هذا الكاتب العربى المنبهر بالقداسات الدينية يدلنا من حيث لا يدرى على نوعية ما يريده للخطاب الإسلامى وهو ما تريده أمريكا وأتباعها على امتداد العالم الإسلامى .

إنهم يريدون لهذا الخطاب أن يصبح علمانيا فى جوهره وشكله بحجة أن هذا هو التجديد والتقدم والعصرية ، لكنهم لا يخبرون أحد بأن نفس هذه العلمنة والعصرنة للخطاب المسيحى هى التى جردته من هويته وجعلته لا يقنع أحدا بل ينفر الناس هناك فى الكنائس التى أصبحت مفلسة إلى حد التخلى عن هويتها وخصوصيتها ..

وهذا هو بالضبط ما يريدونه للإسلام تحت الشعارات البراقة التى تتحدث عن التجديد والتحديث ... إلخ

والمضحك أن هذا الكاتب العربى يقترح أن يقوم من يسميهم بأساتذة الجامعات بكتابة الخطب ثم طرحها على الخطباء المسلمين لقرائتها فى المساجد .. وهو لا يعلم بأن الخطب تُكتب بالفعل من جانب موظفى الأمن والإدارات المسماه بالدينية ثم تُلقى إلى الخطباء لكى يلقونها ، ولكن يبدو أنه يشعر بأن حتى خطب هيئات الأمن والأوقاف ليست كافية من ناحية التجديد (الإفساد) المطلوب فيصر على أن يكتبها أساتذة الجامعات .. ولكن ماذا إذا كان هؤلاء الأساتذة أنفسهم إسلاميو التوجه لاسيما وأن الصحف قد طالعتنا مؤخرا بأخبار عدة تنظيمات مزعومة

أسميت بتنظيمات أساتذة الجامعات لأن قادتها البارزين وأعضاءها الناشطين كانوا من هذه الفئة .

وهل هو يريد أن يتولى كتابة الخطب الأساتذة أصحاب الاتجاهات العلمانية اللادينية أساتذة وكتاب من غير المسلمين ليمثلوا الإسلام فى مؤتمرات الحوار بين الأديان والحضارات ، بل أصبح بعضهم وبمباركة المشايخ الرسميين هم المتحدثون باسم صحيح الدين كما يسمونه .

على العموم وبصرف النظر عن تهافت هذا الكاتب العربى فإن تهافت حديثه يدل على حقيقة هذه الدعوة التى تروج لها الصحف والإعلام الآن تحت شعار تجديد الخطاب الدينى وتكشفها على أنها دعوة أمريكية المنشأ والهدف ظهرت فى خضم الهجمة الاستعمارية الأمريكية على الإسلام .

إن أمريكا تريد تجديد الخطاب الدينى الإسلامى ليس لوجه الله والدين ، وإنما لكى تخرج بإسلام مهترئ لا يهش ولا ينش .. يبارك هجمتها على المسلمين باسم مكافحة الإرهاب ويدخل طائعا وذليلا كعنصر هامشى طُبع فى العولمة الأمريكية ويكون فى جوهره مجرد دعوة إلى الاستسلام وفقد الهوية .

لهذا فقط تحمس الآن أصحاب أمريكا وأتباعها لما أسموه بتجديد الخطاب الدينى .. ولهذا فقط أصبحوا الآن من الأتقياء الورعين وهم الذين يحاربون الإسلام ليل نهار .

إدانة أمريكا

بلغت أمريكا من الخيبة حد أنها أدانت نفسها وأعلنت ذلك على العالمين وهى تقول أنها تدين أسامة بن لادن .. فالشريط الذى أذاعته أمريكا حول إدانة بن لادن وبصرف النظر عن عملية تزوير تدين أمريكا نفسها قبل غيرها .

إن أمريكا تقول أن الشريط صحيح وهذا طيب ، وأصحاب أمريكا فى مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية ملأوا صفحات جريدتهم بالمقالات المدافعة عن صحة الشريط وهذا أيضا طيب ،

ولكن إذا كان هذا الشريط صحيحا كما يقول لنا العباقرة فلابد أن الذى سجله خلسة وسربه للأمريكان بعد فترة هو عميل لهم فى صفوف جماعة بن لادن ووصل إلى درجة عالية فى التنظيم ويعرف أسراره وتحركاته وإلا فإنه لم يكن له أن يشارك فى اجتماع يكشف فيه بن لادن عن السر ويفاخر به أمام ضيوف عرب .

وإذا كان الأمر كذلك فلماذا لم يقم هذا العميل المهم والكبير بكشف سر عملية نيويورك وواشنطن للأمريكان قبل تنفيذها لكى يأخذوا حذرهم ، وكان كشف هذا السر

أمرا ميسورا سهلا ، ولعله قد كشف السر بالفعل لكن السياسة الأمريكية اقتضت غض النظر عنه لأن تنفيذ العملية وبصرف النظر عن الخسائر سوف يفتح الباب أمام أمريكا للسيطرة على العالم كله وضرب عدوها الإسلام ضربة قاصمة تحت مبرر الانتقام من الإرهاب .. والأخطر من ذلك أن هذا العميل المهم الواصل إلى قلب منظمة بن لادن قد يكون هو الذى أقنع ذلك التنظيم بالقيام بتلك العملية على وجه الخصوص مما يخلق لأسياده الأمريكان المبرر لتنفيذ استراتيجيتهم العظمى.

إن من بديهيات العمل الاستخباري والأمني منذ ما يزيد على القرن هو أن يكون دور هذا العميل عادة فى حالة وصوله إلى الدرجات الأعلى فى التنظيمات المعادية ليس فقط الإبلاغ عما يدور داخلها وكشفه بل كما قلنا تحريك هذه المنظمات ودفعها للقيام بأعمال إرهابية أو سياسية تؤدى ليس فقط إلى الإيقاع بها ، بل وهو الأهم إلى تحقيق سياسات الدول والأجهزة التى ينتمى هو إليها أو التى جندته .

وببساطة شديدة فإن أمريكا محتاجة إلى مبرر قوى تضعه أمام العالم لتنفيذ الاستراتيجية العظمى للسيطرة العالمية وضرب الإسلام وحشد الحلفاء وراءها ثم حشد الشعب الأمريكى نفسه وراء الإدارة القائمة هناك وتتجاوز حالة الانهيار التدريجى الضاربة فى المجتمع والاقتصاد والثقافة الأمريكية ..

كل هذه المطالب الاستراتيجية الكبرى ومعها التغلغل فى قلب آسيا ومراقبة العدو الصينى القادم أو الروسي المحتمل أو الإسلامى المؤكد وثروات بحر قزوين البترولية تستحق أن يضحى الأمريكان فى سبيلها ببرجين وبضع مئات من البشر لاسيما وقد اتضح الآن أن الخسائر المادية والبشرية لم تكن أبدا بالصورة المبالغة التى ذُكرت فى خضم العملية فى الحادى عشر من سبتمبر إزاء هذه الأحداث الكبرى .. وإزاء ضرورة وجود المبرر القوى المعلن أمام العالم كان لابد من تحريك العميل المهم داخل منظمة بن لادن الهلامية سهلة الاختراق .

وكان من السهل جدا على هذا العميل اقتراح العملية وطرح تفاصيلها الموحى بها فى الأجهزة والدوائر الأمريكية الجهنمية التى دبرتها لإيجاد المبرر ..

وكان من السهل إيجاد الشباب المستعد للاستشهاد تحت شعار أنه يؤدى مهمة نبيلة والباقى معروف .

هذا هو ما كشفته أمريكا من خلال شريط إدانة بن لادن الذى هللت له مع أصحابها المصرين .. وأقسمت أنه حق اليقين لأنه إذا كان هذا الشريط حق كما يقولون فالاحتمالات الوحيدة هى التى طرحناها هنا وهى التى تدين أمريكا .

الشك فى الشريعة

مطلوب منا فى مصر كمسلمين أن نتبع مبدأ الشك وسوء الظن فيما يتعلق بالإسلام والشريعة وحتى العقيدة والتاريخ لأن مذهب الشك كما يقولون لنا هو الموضة الفكرية المستنيرة حسب تعاليم سيدنا ديكارت كما فسرها لنا أتباعه المحليون ، ولأننا جهلة ومتخلفون بحكم أننا مسلمون فنحن لابد أن نشك فى كل ما يرشدنا هؤلاء الحكماء أن نشك فيه لكننا لا يجب أن نشك فى كلامهم هم طبعا لأنهم حكماء وعلماء وكلامهم العلمانى هو حق اليقين .

وهكذا فعلينا أن نشك فى ديننا وعلمائه الصادقين ولا نشك فى كلام العلمانيين .. كذلك لا يجب علينا ولأننا جهلة أغبياء متخلفون أن نشك فى كلام أسيادنا الأمريكان ، ولهذا فعندما تقول أمريكا أن الإرهابيين المسلمين هم الذين خربوا برج التجارة العالمى بجزئيه ودمروه وقتلوا الألوف المؤلفة من الناس فلابد أن نصدقهم حتى لو ثبت بعد ذلك أن عدد القتلى هبط فى السر من خمسة وعشرين ألفا إلى ثلاثة آلاف فقط معظمهم من المفقودين والذين نُقلت أسماءهم من دفاتر الشرطة التى تبلغ عن حالات الغياب أى غياب فى مدينة كبرى مثل نيويورك .. وعلينا أن لا نشك حتى لو ثبت أن انهيار البرجين تم بصورة تشبه انهيار المبانى بطريقة النسف المخطط بوضع متفجرات فى أماكن محسوبة من هياكلها وأعمدتها وقواعدها لكى تنهار بشكل مما لو وقعت فجأة من أعلى إلى أسفل وأن هذا الانهيار لم يحدث أبدا نتيجة لاصطدام الطائرات ، وعلينا نحن الجهلة المتخلفون أن لا نشعر بالشك أبدا عندما يتدارك الأمريكان بعد ثلاثة أشهر هذا الخطأ ويخرجون علينا بشريط بن لادن المشهور ليجروا على لسان بن لادن عبارة تقول أن البرجين انهارا بسبب انصهار الأعمدة الحديدية المقامان عليها وليس بسبب آخر .. أى أن أمريكا تبرأ نفسها من حكاية نسف البرجين بالمتفجرات الموضوعة سابقا وبتدبير عمدى وذلك على لسان بن لادن عدوها الأوحد الذى لفقوا على لسانه هذه العبارة بالذات لأنهم يعلمون أن الحكاية موضع شك ولابد لهم من قتل هذا الشك على لسان عدوهم بالذات .

صحيح ربنا قادر على كل شئ وشوف العجب براءة أمريكا تظهر من فوق سابع سما أو من تحت سابع كهف ، ويتضح أن البرجين انهارا بسبب الاصطدام وليس بسبب

المتفجرات مسبقا كما قال بعض الخبراء العسكريين .. ولأننا جهلة متخلفون فمطلوب أن نشك فى ديننا وعقيدتنا وتاريخنا وعلمائنا لأن مذهب الشك هو مذهب العقل والاستنارة وهو غير ما يدعو إليه الإسلام دين العقل والاستنارة ، ولكن لأننا جهلة ومتخلفون ولا نفهم شيئا فليس مطلوبا منا بل محرم علينا أن نشك فيما يقوله الأسياد الأمريكان الذين أحاطوا بكل شئ علما ، لا يمكن بجهلنا أن نشك مثلا فى حكاية أو حدوتة أو أسطورة العشرين إرهابيا الذين ركبوا طائرات العم سام ليصدموها بالأبراج والبنتاجون ويموتوا فيها ما عدا واحد فقط هو الذى أمسكه الفرنسيون وقالوا للأمريكان إنه فيه حاجة غريبة وهى أنه ذهب إلى مدرسة الطيران وطلب أن يتعلم كيفية قيادة الطائرة فى الجو فقط وليس كيف تهبط أو كيف تقلع .. مطلوب منا أن نصدق هذه الحدوتة عن العملية الانتحارية حتى ونحن نعرف برغم جهلنا وتخلفنا عن وجود إمكانية فنية للسيطرة على الطائرات حتى الكبيرة وتوجيهها بدقة من خلال برامج إلكترونية وشرائح ورقائق مبرمجة توضع بداخل أجهزة التوجيه وتوقف قدرة الطيار على التوجيه من الأجهزة الموجودة أمامه بكابينة القيادة مع إمكانية تعطيل أجهزة الاتصال حتى لا يستطيع الطيار إبلاغ المراقبة الأرضية بما يحدث عنده حتى ونحن نعرف هذه الإمكانية والاحتمال الوارد علينا ألا نشك فى احتماله بل نصدق حكاية العملية الانتحارية التى لا يوجد عليها دليل أكثر من صور الإرهابيين إياهم التى نشرتها السلطات الأمريكية ثم اتضح أن بعضهم فى ذمة الله أو فى بلد آخر .. احتمال أن العملية دُبرت ونُفذت من الخارج بدون وجود إرهابيين ولا يحزنون على متن الطائرات يجب ألا نفكر فيها ولا يتطرق إليها ذهننا بأى حال لأن هذا حرام فمذهب الشك ينطبق فقط على الدين الإسلامى وعقيدته وشريعته وعلماءه وعلى المسلمين وحدهم ولكن ليس على ما يقوله الأسياد العلمانيون والأمريكان وغيرهم فهذا هو الحرام بعينه .

لحظة انهيار برجى مركز التجارة العالمى

العصابة

فى أواخر شهر ديسمبر الماضى قام أحد من يسمونهم بزعماء القبائل فى أفغانستان بإبلاغ الأمريكان لقاء مكافأة سخية أن موكبا كبيرا من عربات الطالبان وتنظيم القاعدة سوف يمر من مكان معين ، وبالفعل ذهب الأمريكان بطائراتهم الحربية إلى ذلك المكان وأشبعوه قصفا لمدة يوم ونصف حتى قضوا على القافلة وعلى القرية التى كانت تسير بجوارهاوقتلوا العشرات وأصابوا الكثير ، وبعد ذلك تبين أن القافلة والضحايا لم يكونوا من جنود وقادة الطالبان والقاعدة بل زعماء قبائل آخرين وأتباعهم كانوا ذاهبين إلى كابول لمبايعة الحكم الجديد صنيعة الأمريكان وإعلان التأييد له ، لكن زعيم القبيلة غدر بهم وأوصاهم بسلوك طريق معين ثم أوشى إلى الأمريكان بأنهم من الطالبان لقاء المكافأة المجزية .

وهذه الحادثة أبلغ دليل على نوعية الحكام والقيادات الجديدة التى سلم لها الأمريكيون زمام الأمور فى ذلك البلد الشهيد .. إنهم ليسوا أكثر من زعماء عصابات وسافكون للدماء وتجارا للمخدرات كما وصفتهم أقلام فى الإعلام الغربى نفسه .. إنهم لا يتورعون كما حدث أكثر من مرة عن بيع اخوانهم ومواطنيهم وهم غدارون لا أمان لهم كما تجلى فى مذبحة قلعة جانجى التى غدروا فيها

بمئات الأسرى من المجاهدين العرب فى وحشية وخسة منقطعة النظير ، ومع ذلك فهؤلاء هم الذين يغدق الإعلام والساسة فى الغرب من الثناء عليهم ووصفهم بالزعماء العظام والساسة الكبار .. وهؤلاء هم الذين يحبهم الغرب راعى حقوق الإنسان والديموقراطية ونزاهة الحكم .

إن كل القيم المزعومة التى يدعى الغرب أنه يدافع عنها قد أُهدرت فى أفغانستان على يد الغرب نفسه وقواته العسكرية ثم على أيدى حلفاء الغرب المفضلين ، ومع ذلك يصر البعض هنا على أن صورة ديننا كما يقولون حتى ترضى عنا ..

هذا هو الغرب الذى يريدون منا أن نغير ونعدل فى ديننا وشريعتنا حتى تصبح متمشية مع معاييره .

إن الغرب بسلوكه وسلوك أصحابه فى أفغانستان يعطينا صورة واضحة حول نوعية الأنظمة التى يقرها فى البلاد التابعة له ولا يرضى عنها بديلا .. إنهم يقرون أسوأ الأنظمة وكله بحجة واحدة هى الخلاص من أنظمة أخرى يقولون عنها أنه سيئة وفى الواقع فإن هذا الحال فى أفغانستان ليس جديدا بل هو دأب السياسة الأمريكية فى تعاملاتها مع شتى البلدان فى أمريكا الجنوبية وآسيا وإفريقيا .

الشريعة المضطهدة

بعض الملل التى ليس لديها شريعة سوى بعض الأحكام الموضوعة متأخرا لتنظيم أحوالهم الشخصية والسلك الكهنوتى تغضب أشد الغضب وتثور وتشعل الثورات إذا ما فكر أحد مجرد تفكير وبالقول فى تعديل بعض هذه الأحكام تعديلا طفيفا أو المس أو حتى مجرد انتقادها .

أما الشريعة الإسلامية نبت الوحى الإلهى فقد هانت على من يُفترض أنهم مسلمون إلى حد أنهم أصبحوا فى هذه الفترة لا هَم ولا شاغل لهم سوى التلاعب بأحكامها وهدمها وتجاوزها تحت شعارات ودعاوى ما أنزل الله بها من سلطان سواء بزعم الإصلاح والتجديد أو مواكبة العصر أو خدمية المصالح أو بدعوى أن هذه الشريعة ليست سوى وضع بشرى قابل للتغيير والتعديل الجذرى والإلغاء كل فترة ..

وياليت الأمر يقف عند هذه الدعاوى فكلما تطق فكرة شيطانية فى دماغ أى علمانى أو علمانية حتى تقوم الدنيا ولا تقعد لتحويل هذه الفكرة إلى قانون ويُجمع لها علماء الإسلام عن بكرة أبيهم كى يطوبوها

ويحولوها إلى أحد مقاصد الشريعة بل إلى الهدف الأوحد الذى ما جاءت الشريعة إلا لكى تقره وتحققه .

وينشط فى هذا الجو دعاة المساومة والحيل الالتفافية والتلاعب بالمصطلحات تحت شعار الاجتهاد العصرى إلى أن يصدر قانون بسرعة البرق يمرر هذه الفكرة التى لا تخدم مصلحة أحد سوى العلمانية والغربيين وتضيف خطوة أخرى إلى خطوات علمنة الإسلام وإذابة هويته وإفقاد شريعته قدسيتها ومصدرها الإلهى وتحويلها إلى مجرد تقنين وضعى بشرى لا معنى له بل هو حتى أدنى من القوانين والتشريعات الوضعية الأخرى التى يدافع عنها أصحابها ويزعمون لها القداسة .

وأشد ما يقع عليه اللوم فى هذه المهزلة هم نفر من المنتسبين أو الذين ينسبون أنفسهم إلى الدراسات الإسلامية ممن يحسنون هذا الأمر لمن يقدمون عليه .

إن هؤلاء فى سعيهم للشهرة واستجدائهم لطلب المديح والثناء واستجلاب ألقاب الاجتهاد والعقلانية والاستنارة يلجأون إلى حيلة قديمة متكررة كان يُفترض أنها أصبحت مكشوفة الآن لكنها مازالت تتكرر فى دليل عجيب على إفلاس الساحة الثقافية والفكرية التى مازلت تستسيغ تلك اللعبة .

إنهم يرفعون مجموعة من المقولات ويرددونها بشكل ببغائى غوغائى معمم مجرد مقتطع من سياقه ومعناه مثل الحديث عن فتح باب الاجتهاد ، والدين يسر ، والمصلحة ومسايرة العصر وتغير الفتوى أو حتى الحكم الشرعى يتغير الزمان والمكان ، والفقهاء رجال ونحن رجال وأن الفقه شئ (متغير تاريخى نسبى) بينما الشريعة شئ آخر .

وبعد خلق سحابة من الدخان بترديد هذه المصطلحات والمقولات وأمثالها يخلصون إلى صورة مهلة للشريعة تصبح فيها كقطعة العجين التى تقبل أى شكل ولا تستعصى على من يشكلها أيا كان .. ولا يصبح للشريعة فى فكر هؤلاء أى دور أو وجود سوى أنها كم هلامى من المقولات المعممة قابل للتشكيل على أية صورة حسب مزاج القائم بالطبخ .

ووفق هذا التصور الذى أصبح الآن مهيمنا على فكر النخبة العلمانية ومن يتابعها من صحفيين وكتاب بل ومشايخ سلطة وغير سلطة تصدر شتى أنواع الفتاوى والتبريرات وتطوب وتبارك كل الاتجاهات والقوانين والقرارات وليس فى هذا غرابة طالما أن المصلحة فوق الجميع والمصالح المادية والمعنوية معروفة ومتعددة عند أصحابها اللاعبين بالإسلام .

هكذا هانت الشريعة عند من يُفترض أنهم يؤمنون بأنها إلهية المصدر خالدة الأحكام وأن أحكامها خالدة بإقامتها والثبات عليها .. وبينما يعلن أصحاب الأحكام الوضعية المختلفة المشارب الثورات والعصيان إذا ما خولت حكم من أحكامها التى وضعوها هم فى ظروف تاريخية معروفة ولدوافع قد تتغير بين الحين والآخر .. فإذا بأصحاب الشريعة السماوية يتخلون منها ويجعلونها كومة أو ركاما من التقنينات الوضعية غير المحترمة وغير الثابتة .

وياليت هذه القوانين الوضعية التى أخذت الشريعة الآن تؤول إليها يتم الوصول إليها عبر عملية تشريع وضعى سليمة ديموقراطية موضوعية بل إن الذى يحدث هو أن نزوات وأمزجة ومطالب الأقلية العلمانية التى تتحدث باسم الغرب بل وباسم مفاهيم الغرب المسيحية - اليهودية - الوثنية هى التى أصبحت الآن وحدها تُترجم إلى قوانين ولوائح وقرارات واتجاهات تنتحل لها شرعية الشريعة تحت مفهوم العجينة الهلامية .

حدث هذا ويحدث بالذات فى مجال الأحوال الشخصية حيث الهدف المعلن هو علمنة هذه

القوانين وتقريبها من القوانين الغربية كما كانت فى القرن التاسع عشر وليس حتى كما هى الآن .. وهذا التغريب والعلمنة والتلاعب بقوانين الأسرة الإسلامية يتم تحت أنه يحقق عين ما يريده الإسلام أو تحت مقولة أن الإسلام بفضل الاجتهاد يسمح بكل شئ وأى شئ يريده العلمانيون والمنظمات والهيئات الدولية التى تسندهم وتستخدمهم .

والأغرب من هذا كله والأدل على فضيحة وتهافت الحياة الثقافية والفكرية أن العلمانيين ما أن يستخدمون العجينة الشرعية الهلامية التى أعدها لهم الطباخون المستنيرون المجتهدون من الذين ينسبون أنفسهم إلى العلم الدينى إلا وينصّبون قوانينهم وقراراتهم التى طوبها لهم مشايخ السلطة باعتبارها إحدى ثمار العجينة الشرعية المتغيرة كتعاليم خالدة لا يأتيها الباطل ولا تُرد ولا تقبل بالتغيير والتعديل .

وبعد أن نعين لهم المفتون بنسبية الشريعة وجواز التعديل لتغير الزمان والمكان ينصبون هم قوانينهم فوق كل ظرف وتغير وزمان ومكان بحيث تصبح شريعة أزلية جديدة وقانونا علمانيا خالدا يجب الشريعة الإلهية التى تبرع المفتون المنتسبون إلى العلم الدينى بتصويرها على أنها مجرد قانون وضعى متغير .

هذا الكلام يُقال بمناسبة حدث وقع فى مصر وهو لا يمكن أن يقع فى أى بلد ولا حتى فى مستشفى المجانين بتاعة إسماعيل ياسين .. فبعد عرض التليفزيون لمسلسل (أكرر مسلسل أى عمل خيالى لا يقوم على أساس من الواقع) خلال شهر رمضان يظهر فيه رجل متزوج من أربعة نساء ويحظى بالسعادة معهن وهن سعيدات معه حتى انفتحت أبواب جهنم وتولى صحفى معروف بالأهرام وثلاثة سيدات يكتبن فى الصحيفة رفع لواء الدعوة إلى منع أو تقييد رخصة تعدد الزوجات باعتبار أن هذا المسلسل أظهرها بشكل إيجابى وهو ما يدفع إلى ارتكاب جريمة التعدد ، وسارت الحملة فى مسار لا يمكن أن يفهم عاقل أو حتى مجنون .. فإحدى السيدات تقول أن المسلسل نُوقش فى التليفزيون الألمانى وبالتالى فضحنا أمام الأجانب ولذلك ولتجنب الفضيحة فى التليفزيون الألمانى فلابد من إلغاء رخصة تعدد الزوجات .

وسيدة أخرى كتبت فى صحيفة الأهالى تقول أن محمد عبده قد حرم تعدد الزوجات شرعا (وهو بالطبع ما لم يحدث لأن أحدا لا يجرؤ على تحريم ما أحل الله سواء أكان محمد عبده أو غيره .. وبالمناسبة فلابد أن تنتهى حكاية أن محمد عبده أباح كل شئ التى يلجأ إليها العلمانيون فى تشويه خطير لصورة الرجل) .

وهكذا فمجرد عرض مسلسل خيالى فكاهى كان فرصة لأن ينقض البعض على آخر ما تبقى من معالم تطبيق الشريعة فى مصر لكى يعلمنوه وليرضوا الحملة الأمريكية الجديدة التى ترفع بشكل وأصبح شعار تغيير الإسلام وتعديله سواء من ناحية مناهج التعليم أم من ناحية التشريعات .. هذه العملية الهزلية التى يُستغل فيها مجرد عرض مسلسل فكاهى (وهو ينظر إلى تعدد الزوجات بشكل إيجابى) كمناسبة للمطالبة بتغيير قانون الأحوال الشخصية وتحريم ما أحل الله لا يجب أن تستمر بعد الآن .

لقد هانت الشريعة إلى حد أن السيدة الدكتورة عضو ما يسمى بالمجلس القومى للمرأة تقف بكل بجاحة لتطالب بإلغاء ما حلل الله لأنه سبب لنا فضيحة فى التليفزيون الألمانى حسب مشاعرها الرقيقة .

لقد هانت الشريعة ولعن الله المسئولين عن ذلك وهم وأصحابهم العلمانيون ومشايخهم المستنيرون وأسيادهم الغربيون لا يستطيعون أن يزحزحوا طاقية تقى فوق رأس أى مسئول يهودى بحجة الاجتهاد فى الشريعة اليهودية كما رفعوا حجاب المرأة بحجة أنه لا يعجب السياح أو لا يليق بإبراز الجمال .

التسامح

الشعار الذى أصبح الآن محتوما فى كل خطب الجمعة والأحاديث الدينية فى وسائل الإعلام والصحف هو شعار التسامح والمحبة وعدم إيذاء الغير والاعتراف بوجودهم .. إلخ .

وهذا الشعار يتكرر بشكل يكاد يخلق رد فعل مضاد وهو يوحى بأن المسلمين قد تحولوا جميعا إلى عصابة مسلحة دأبها ضرب الآخرين والتآمر عليهم وإيذائهم بل وذبحهم إن أمكن ، ومن الأمثلة اللطيفة فى هذا الصدد أن خطبة الجمعة اليتيمة فى رمضان والتى خُصصت بأكملها تقريبا لموضوع التسامح تناقضت مع خبر نُشر فى نفس اليوم فى جريدة الأهرام يبشرنا بأنه بعد العيد سوف

تبدأ مجموعة كبيرة من المحاكمات العسكرية وغير العسكرية لمجموعات من الأفراد والتنظيمات بعضهم تُنسب إليه جرائم لا تعتبر جرائم فى أى قانون لأنها مجرد استخدام الحق الدستورى فى التجمع والتعبير وبعضهم الآخر تُنسب إليه جرائم وقعت منذ عشرة سنوات وكان قد عُوقب عليها بالفعل بالسجن .

وهذا الخبر يبرز التناقض الخطير الذى يعترى دعوة التسامح التى تتكرر الآن فى كل المنابر ليل نهار ويهدمها من أساسها فى أعين الجماهير ويجعلها عديمة الأثر والنفع بل هى دافع للأثر المضاد ، ذلك لأن الدعوة إلى التسامح تبدو كما لو كانت موجهة إلى الخارج وإلى غير المسلمين فى الخارج وحدهم وليس إلى المسلمين .. إذ بينما تُروج هذه الدعوة ليل نهار فى كل المنابر وكل الأمكنة وكل المناسبات يجد الناس أن المسلمين بالذات مستثنون منها فليس لهم أى تسامح أو رحمة من أفغانستان إلى أمريكا ..

أفلا يمكن أن يكون للمسلمين نصيب من التسامح والتراحم والمودة والمغفرة بدل المحاكمات والاعتقالات والسجون والتعذيب والمشانق والقهر والقمع والتقييد والمنع والحجر والحظر .

د . محمد يحيى

قادة حماس والجهاد يرفضون بيان عرفات

العنف بالعنف .. والبادئ أظلم !!!

د . رمضان عبد الله

حركة الجهاد الإسلامى

خالد مشعل

حركة حماس

كنت استمع إلى قادة الجناح السياسى لكل من حماس والجهاد الإسلامى فى مكاتبهم وفى المخيمات الفلسطينية مؤخرا عندما قتل الإسرائيليين طفلين هما برهان السدر وعمره عامان ، وشادى عرفة وكان فى الثالثة عشرة ، وقيل لى بغضب "التصعيد مقابل التصعيد ، وطالما هناك احتلال فالمقاومة مستمرة ومشروعة.." .

لم أكن بحاجة إلى ساعات من الأحاديث الخاصة لأعرف أن العمليات الاستشهادية - الانتحارية ستستمر ، غير أن الجلسات كشفت لى أن بعض قادة الميدان الفلسطينيين ومسئولين فى السلطة الوطنية اتصلوا بحماس والجهاد لطلب وقف العمليات بسبب الضغوط الهائلة التى يتعرض لها أبو عمار من الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبى والدول العربية لاعتقال "المطلوبين" .

وجدت الجهاد أكثر تفهما لوضع الرئيس الفلسطينى أو أكثر تقديرا لصعوباته ، إلا أن الجهاد وحماس مصرتان على استمرار العمليات ، وأحد القادة قال أن أرييل شارون هو الذى قتل ٢٦ إسرائيليا فى عمليات الأول والثانى من الشهر الماضى والعملية الأخيرة ، فهذا هو الرد الوحيد الذى كان يجب أن يتوقعه لقتل خمسة أطفال فلسطينيين فى الثانى والعشرين من نوفمبر الماضى ، وقتل محمود أبو هنود أحد القادة العسكريين البارزين لحماس فى اليوم التالى .. وزاد هذا المسئول : إن شارون هو الذى قتل قبل ذلك وزيره رحبعام زئيفى ، فقد كان الرد الوحيد الممكن على اغتيال قائد الجبهة

الشعبية لتحرير فلسطين أبو على مصطفى ، فى وقت كانت الجبهة علقت عملياتها العسكرية ، وأصبحت الآن تقول رسميا "إنها الحرب يا شارون" .

- كان أبو عمار أعلن وقف اطلاق النار وتجاوبنا معه فى التهدئة لامتصاص الحالة الدولية ، ولكن ماذا حدث؟.. منذ شهرين وشارون هو اللاعب الوحيد فى الميدان ، فهو يغتال ويدمر ويحاصر ، بل يعتقل المناضلين بأثر رجعى ، فهو يفتش عن ناس نفذوا عمليات قبل ثلاث سنوات أو أربع .

- وقف الفلسطينيين النار لم يرافقه وقف إسرائيلى مماثل ، وخسرنا خسارة فادحة ، لأن أداءنا أصبح لمصلحة شارون ، فهو يقتل شعبنا ثم يدعى فى الخارج أنه يطلب المفاوضات والسلام لأن دعايتنا فى الخارج ضعيفة وهم يسيطرون على وسائل الإعلام .

- هكذا كان .. ومضى حوالى شهرين وشعبنا يتعرض للاستنزاف من أطفاله إلى رموزه الوطنية ، والسلطة مكتوفة اليدين ، والتبرير السياسى لم يرد العدوان الإسرائيلى .

شارون

- التصعيد مقابل التصعيد ، وطالما أن هناك احتلالا فهناك مقاومة ، والمقاومة هذه ليست عدمية بل هدفها إنهاء الاحتلال ، وهو هدف يجمع عليه الفلسطينيون كلهم .

- العمليات لا تنتظر وصول (الجنرال انتونى) زينى أو ذهاب (وليام) بيرنز ، وإنما تعتمد على قراءة المجاهد للواقع الميدانى .. بكلام آخر .. لا وقت مناسبا للعمليات ، وإنما التنفيذ مربوط بالقدرة ، وهناك وفد أمريكى أو أوروبى قادم أو مغادر أو موجود بيننا كل يوم .

- عملنا فى كل عهد (حكومة إسرائيلية) ، والعمليات العسكرية ليست مرتبطة بأى فشل فى العمل السياسى للآخرين ، فالجهاد وسيلة لا غاية ، ولو استطعنا فسنكتفى بالطريق الأيسر .. يعنى إذا ضمنوا لنا طرد الاحتلال فلن نقاتل .

- لو توقفت العمليات .. هل كان تغير شارون ؟.. من يعتقد هذا يضحك على نفسه العمليات مستمرة ، ونرجو أن يكون التنفيذ محكوما بالعقل وتحليل هادئ للأوضاع السياسية .

- أمرنا بعدم اطلاق النار على رجال الأمن الفلسطينيين إذا حاولوا اعتقال رجالنا .. الشارع ثأر ومنع تنفيذ بعض الاعتقالات ، وهذا جديد فى مناطقنا .

الحياة اللندنية

بعد أن انتشلته الانتفاضة من أوسلو

هل يقود عرفات القضية إلى مستنقع الاستسلام؟

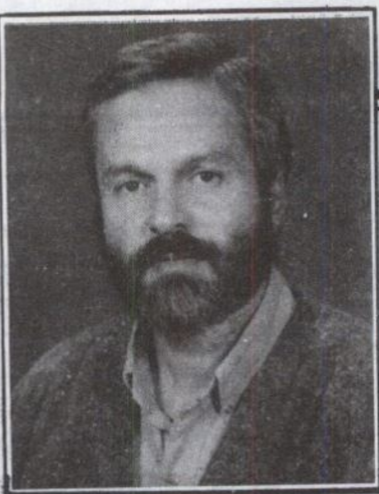

د . صلاح عز

خاص : المختار الإسلامى

نجح ياسر عرفات خلال الأسابيع القليلة الماضية فى تحقيق انجازين الأول له والثانى لأعدائه .

فقد قدم دليلا ساطعا على استحقاق السلطة لشهادة حسن السير والسلوك الأمريكية التى يستميت عليها حكام عرب آخرون فى ظل الحرب الأمريكية على "الإرهاب" ، وذلك بقسوته فى التعامل مع احتجاجات الشعب الفلسطينى وعدم تردده فى إراقة دمه وضرب وحدة صفه . فالقيادات الأمنية الفلسطينية التى تخاذلت طوال العام الماضى عن التصدى للجيش الإسرائيلى دفاعا عن مقارها الأمنية ، تصدت بصلف لا يقل عن صلف جنود الاحتلال للشباب الفلسطينى فقتلت وأصابت العشرات . هذا الانجاز لن تجنى منه السلطة سوى السماح ببقائها ، والشهادة التى تتعطش إليها سيحول دونها دائما "ضرورة بذل ١٠٠٪ من الجهد." أما الإنجاز الثانى فينبثق من الأول ، حيث دلل عرفات ـ على نقيض ما كان يتردد طوال العام الماضى ـ أنه بالفعل قادر على كبح جماح الشارع الفلسطينى ووأد المقاومة وإجهاض الانتفاضة ، وأن قدراته تلك لا تظهر إلا بتشديد الضغط عليه وتحديد إقامته وتهديده بالاختيار بين السلطة والانتفاضة . هذا ما كان شارون يصر عليه دائما ، وقرر عرفات فى النهاية أن يقدم للعالم الدليل على صدق شارون .

لم ينجح عرفات فيما نجح فيه إلا لأنه فعل مع منظمات المقاومة ما فعله شارون معه ، وذلك بوضعها أمام خيارين : إما وقف المقاومة وإما حرب أهلية . ومن هنا كان الإجماع على استحسان ما أقدمت عليه (حماس) بإعلان تعليق العمليات الاستشهادية للحد من الخسائر وتجنب الصراع الأهلى .. نعم لن يستطيع عرفات أو سلطته بعد اليوم أن يدعوا العجز عن وقف العنف

الفلسطينى والسيطرة على أى احتجاجات قادمة تشتعل نتيجة ما سيقدم عليه شارون ومعه عواصم الغرب حتما ـ وهم فى نشوة انتصارهم ـ من المزيد من الإهانة والإذلال للشعب الفلسطينى عقابا له على الانتفاضة ، وحتى لا يفكر فى تكرار اللجوء إليها مستقبلا .

هيبة زائفة

لقد أعلنت (حماس) و (الجهاد) أن الدم الفلسطينى خط أحمر بالنسبة لهما ، واتخذا من السلطة موقف إبن آدم الذى قال لأخيه فى الآية القرآنية ﴿ لئن بسطت إلىّ يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى إليك لأقتلك إنى أخاف الله رب العالمين ﴾ .

فى المقابل فبدلا من أن يقبض عرفات بكلتا يديه على وحدة الصف حتى لا تطيح به الأعاصير القاسية التى يتعرض لها ، جعل من بقاء سلطته خطا أحمر يهون فى سبيله كل شئ تماما كما اعتبر عضو البرلمان المصرى ، الذى وقف يرقص فرحا فى قاعة البرلمان بعد كارثة يونيو ٦٧ ، إن قرار جمال عبد الناصر بالبقاء فى الحكم أمر تهون فى سبيله هزيمة الأمة وضياع القدس . إن هؤلاء الذين راهنوا على أوسلو فخسروا وتعهدوا للشعب فأخلفوا ـ وانتفى بالتالى التفويض الشعبى الممنوح لهم على خلفية هذه التعهدات ـ استباحوا الدم الفلسطينى متذرعين أولا بالحفاظ على هيبة السلطة ، وهو عذر أقبح من الذنب ، وثانيا بضرورة نقل الكرة إلى ملعب إسرائيل ، وهو ما ينم عن بلاهة سياسية . أى هيبة تلك التى يتذرع بها مسؤولوا السلطة وهم لا يملكون من أمرهم شيئا أمام إسرائيل ؟ أى منطق يبرر لهم أن يكونوا أعزة على إخوانهم أذلة أمام أعدائهم ، بينما القرآن الذى يؤمنون به يشدد على أن يكون المسؤولون (أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين .. لا يخافون لومة لائم) وشتان ما بين الذلة أمام الأهل التى تعنى الرحمة والود والاحترام المتبادل ، والذلة أمام الأعداء والتى لا تعنى سوى إهانة وتحقير الذات .

لقد كان فى وسع عرفات أن يتجنب كل ما جرى لو أنه اتعظ مما جرى خلال سنوات أوسلو فاستمع لنصائح معارضيها ممن طالبوه بضم كافة الفصائل الناشطة فى الانتفاضة إلى حكومة وحدة وطنية تؤمّن وحدة الشعب الفلسطينى وتواجه حكومة الوحدة الإسرائيلية أو على الأقل إجراء حوار وطنى يتم من خلاله التنسيق بين السلطة وكافة طوائف الشعب الفاعلة فى ساحة الانتفاضة ، والتفاهم والاتفاق معها بدلا من فرض المواقف والسياسات قسرا وقهرا بحجة أنه لا توجد إلا سلطة واحدة . ولكنه الاستفراد الأعمى بالرأى والخوف المرضى من لوم الأعداء والازدراء السفيه بالمعارضة الوطنية ، وهى سمات مشتركة لأنظمة أدمنت السلطة وانهزمت نفسيا .. أنظمة تستأسد على العباد مستبيحة كرامتهم وأرواحهم حتى تحصل على هيبة زائفة بعد أن فرطت فى مصدر الهيبة

الحقيقية : هيبة الأمة واحترامها فى العالم .

(صرح عرفات لجدعون ليفى من هاآرتس (١٢/٢٣) إن إعلان (حماس) صدر نتيجة ضغوط السلطة العنيفة عليها باعتقال مائتين من نشطاء حماس والجهاد وإغلاق ٤٩ مكتب ومؤسسة، ثم قال "لقد اعتصرناهم." يسهل على المرء أن يتفهم تفاخر شارون باعتصار عدوه عرفات ، ولكنه أمر يستحيل قبوله أن يصل إبتذال الذات من أجل إرضاء حلفاء شارون إلى حد تفاخر عرفات فى حضور خافيير سولانا باعتصار قيادات شعبه الوطنية التى تبذل كل ثمين من أجل القضية والسلام الأهلى) .

ملعب عرفات

أما طرفة نقل الكرة إلى ملعب إسرائيل ، فالواضح منها أن عرفات لم يدرك بعد أبعاد ما يجرى . إن زلزال ١١ سبتمبر لم يقع حتى يكون المقابل له هو مجرد تعليق "للإرهاب الفلسطينى." وبالتالى فإنه أمر عجيب أن يظن عرفات أن اعتقال النشطاء وإعلان (حماس) يكفيان لنقل الكرة إلى ملعب إسرائيل . فالكرة ما تزال فى ملعبه ولن تغادر ملعبه أبدا ، لأنه عندما قرر أن ينصاع لمطالب العدو وضع نفسه فى الموضع الذى أراده له شارون منذ البداية : شرطى يحرس أمن إسرائيل بلا مقابل . والولايات المتحدة وأوروبا لن يقبلا بعد اليوم أى مقاومة من هذا الشعب لما يُفعل به . ولن يقبلا من سلطة عرفات ـ بعد ما أظهرت من استئساد عربى نموذجى ضد الشعب ـ إلا مزيد من الوغول فى المستنقع الجديد بفرض الهدوء التام فى جميع الجيوب الفلسطينية المحاصرة حتى يساعد الهدوء شارون على الاستمرار فى تصفيته البطيئة للوجود الفلسطينى بقتل أعداد قليلة يوميا ، وبناء المستوطنات وتهويد القدس والتفريغ المتدرج لأهلها ، وإفساح المجال أمام المليون يهودى الذين تعهد باستجلابهم لإسرائيل .

وشارون كما يعلم الجميع الآن يوفى بما يتعهد به لشعبه . هذا هو المستنقع الذى خاض فيه عرفات عندما استباح الدم الفلسطينى ، والمأزق الذى لن يستطيع الخروج منه بتفكيك المقاومة ، وإنما بتفكيك السلطة والرحيل . ولكن هل يفعل عرفات ذلك فيشذ عن أقرانه من الحكام العرب ، أم يصر على البقاء ويسحب القضية معه إلى المستنقع ؟

نذر شؤم

كان يجب أن يشتمل إعلان (حماس) على تحذير للسلطة من الإنزلاق إلى تسليم القضية والتفريط فى المحرمات كالقدس والحرم وحق

العودة ، وذلك لأن هناك ثلاثة مسائل تدعو للقلق :

أولا : الضوء الأخضر الأمريكي ، الذي يعتبره شارون بمثابة رخصة لتدمير المجتمع الفلسطيني، يستهدف على الأرجح إنهاك الفلسطينيين إلى أقصى درجة وتركيع سلطتهم حتى لا يصدر عنها أو عنهم أي احتجاج عندما يحين أوان عرض صفقة تقوم بمقتضاها دولة فلسطينية منزوعة السلاح والسيادة والحرية والمقدس .

مثل هذه الدولة قامت على الورق بالفعل في البوسنه عام ١٩٩٥ نتيجة ضوء أخضر أوربي منح الصرب كل ما احتاجوه من وقت وإمكانات لتدمير المجتمع المسلم هناك .

ثانيا : تصريحات مسؤول ملف القدس في السلطة الفلسطينية سري نسيبة عن القدس واللاجئين ، والتي التزمت السلطة إزاءها الصمت ، أيضا لا تبشر بخير. فهو يرى أن عودة اللاجئين أمر غير قابل للتطبيق وأن الدولة الفلسطينية لن تقوم إلا إذا تنازل الفلسطينيون عن حق العودة ، وأن "الشعب اليهودي له إرتباط ديني ووجودي بالقدس يجب الاعتراف به واحترامه مثل الارتباط العربي والإسلامي." كما تقول تريسي ويلكينسون مراسلة (لوس أنجلوس تايمز ١١/١٣) أن "تصريحات سري نسيبة الواقعية ، وبالذات عن عدم أهمية بيت الشرق الذي يعتز به كثيرون كرمز فعال للقومية الفلسطينية ، تجعله محبوبا في أوساط الإسرائيليين." بتعبير آخر، فإن نسيبة يرى أيضا أن عودة القدس والحرم غير عملية بعد أن أقر لهم - ومعه سلطة عرفات بسكوتها - بحقوق دينية فيهما.

هذا التخفيض المجاني لسقف التوقعات الفلسطيني من جانب مسؤول السلطة ، ساهم بلا جدال في رفع سقف التوقعات الصهيوني إلى درجة أغرت بالمزيد من الوحشية والتنكيل بالشعب المقاوم ، تماما كما دفع شهداء الانتفاضة على مدار العام الماضي أرواحهم ثمنا للتنازلات المجانية التي قدمها عرفات طوال سنوات أوسلو . فهل نلوم بعد ذلك اليمين الليكودي عندما يتساءل : لماذا ، والسلطة على هذه الدرجة من البؤس تحفظ أمننا بلا مقابل ، نسمح لها بدولة مستقلة ؟

ثالثا : تعيين سفير مصري في تل أبيب إذا كان ما تردد عن هذا الأمر صحيح ، كما جاء في جريدة (القدس العربي) مؤخرا، بينما إسرائيل مستمرة في خنق الشعب الفلسطيني وتدميره واغتيال شبابه ، فإنها ستكون مهزلة بحق . لقد صرح المسئولون مرارا وتكرارا بأنه لا سفير مصري قبل وقف إسرائيل عدوانها وعودتها للمفاوضات ، وأن شارون رجل حرب لا يمكن التفاهم معه ، فهل يمكن أن تقدم القاهرة على هذا التنازل المجاني ؟ وإذا كان هذا هو سلوك أهم دولة عربية التي عادة ما يقتدي بها الآخرون ، فماذا ننتظر من العرب الآخرين إلا الكوارث .

د . صلاح عز

سقوط العالم العربى

بقلم : د. إدريس الكتانى

لماذا تأخر المسلمون - والعرب بصفة خاصة - وتقدم غيرهم ؟..

لا يزال هذا السؤال مطروحا بقوة حتى اليوم دون أن يجد له جوابا واضحا ومقنعا ، منذ جعله العلامة المؤرخ الأمير شكيب أرسلان (١٨٦٩ - ١٩٤٦) عنوانا لبحثه القيم ، رغم عشرات الدراسات والأبحاث التى حاول أصحابها الإجابة عنه انطلاقا من مختلف الاتجاهات المذهبية سواء منها الدينية أو اللادينية .

الأسباب الإسلامية لسقوط العالم العربى

يتلخص الاتجاه الدينى بأن السبب يرجع لانحراف المسلمين ، والرأى الرائد عند علمائهم ، المطابق لنصوص القرآن الكريم والسنة النبوية ، يقول الله تعالى :

﴿ إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب ﴾ ..(ص : ٢٥)

ويذكر المسلمين فى صلواتهم المفروضة وحدها سبع عشرة مرة فى اليوم بطلب الهداية من الله : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين انعمت عليهم ، غير المغضوب عليهم (اليهود) ولا الضالين (النصارى وغيرهم) . ﴾ .

فالله تعالى ينذر الضالين بالعذاب الشديد فى الدنيا والآخرة فى عشرات من الآيات ، وعذاب الدنيا يختلف عن عذاب الآخرة ، وهل ما يعانيه العرب المسلمون فى هذا العصر من ذل الاستعمار والاستكبار العالمى ، ومن ذل النصارى واليهود والوثنيين ، واستباحة أعراضهم وأموالهم ودمائهم وأوطانهم ، وضرب بعضهم ببعض إلا عقوبات إلهية مترتبة عن ضلالهم وإضلالهم لغيرهم ؟..

﴿ من اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ﴾ ...... (الإسراء : ١٥)

﴿ من يُضلل الله فلا هادى له ، ويذرهم فى طغيانهم يعمهون ﴾ ... (الأعراف : ١٨٦)

ومع ذلك تظل نخبة العرب من المثقفين والحكام والسياسيين المعاصرين فى غيبة دائمة عن إدراك خطورة هذه الإنذارات القرآنية المتوالية ، ليبتليهم - وهو بهم عليم - ويتركهم يتخبطون ويَعمون عن الرشد والهدى.

وفضلا عن ذلك يبقى هذا السبب عاما وغامضا لا يحدد نوع وطبيعة هذا الانحراف عن الدين ، وما هى العقوبة المحددة لكل نوع منها ، وهى انحرافات تشمل سلوكهم السياسى ، والاقتصادى ، والاجتماعى ، والثقافى ، والدينى بطبيعة الحال .

ويتلخص الاتجاه اللادينى بأن الدين نفسه هو علة العلل فى تخلف المسلمين ، وأن عليهم أن يؤمنوا بالفكر العلمى ، والمنطق العقلى ، كما فعل الغرب ليصلوا إلى ما وصل إليه الغرب .

وهى حجة تقليدية عشواء ، اقتنع بها تلامذة الفكر الفلسفى الماركسى الإلحادى ، والفكر العلمانى الرأسمالى الغربى ، لم ينجح لا أصحابها الأولون ، ولا تابعوهم ومقلدوهم المتأخرون ، لجهلهم جميعا بالإسلام وتاريخه وحضارته ، واعتقادهم بأنه كالمسيحية وهؤلاء أضلهم الله فلا هادى لهم ، هذه الحجة رفضتها الشعوب الإسلامية ونخبتها المؤمنة التى تعرف جيدا أن الإسلام بالعكس هو الذى دعا الناس جميعا لاستعمال العقل ، والتسلح بالعلم والمعرفة :

﴿ إقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق ، إقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ .. (العلق : ٥)

﴿ كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون ﴾ .... (البقرة : ٢٤٢)

﴿ إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون ﴾ .... (يوسف : ٢)

﴿ أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون ﴾ .... (الأنبياء : ٦٧)

﴿ أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها ، أو آذان يسمعون بها ، فإنها لا تعمى الأبصار ، ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور ﴾ .... (الحج : ٤٤)

فلا يعقل إذن أن يكون الإسلام هو المسئول عن تخلف المسلمين أو أن يدعى أحد بأن العقل أو العلم يتعارضان مع الدين الإسلامى وخالق العقل والعلم هو ربّ المسلمين والناس أجمعين ؟!.. وإذا كان هذا التعارض قد حدث مع المسيحية فالإسلام يختلف عنها .

لم تتراجع الشعوب العربية - الإسلامية حتى اليوم عن موقفها ورأيها هذا ، كما أن النخبة السياسية المثقفة التى ركبت قطار العلمانية التقدمية الغربى ، وتحكمت - بمساعدة الغرب - فى مصائر شعوبها ، وأخضعتها لقوانين الغرب وديموقراطيته المزيفة ظلت تعتقد بأن تخليها وإعراضها عن الإسلام - كما فعل الغرب مع المسيحية - هو الشرط الأساسى لولوج عصر العلم والتقدم والحضارة المادية السائدة !..

منذ سقوط الخلافة العثمانية لم ينجح العالم العربى فى تحقيق أي مطمح من مطامح شعوبه

لكن رغم مرور أكثر من سبعين عاما على هذه المرحلة منذ سقوط الخلافة العثمانية فإن العالم العربى بثوراته التقدمية ، وقوميته العربية الاشتراكية ، ودوله الاثنتين والعشرين وكل تجاربه الفاشلة ، لم ينجح فى تحقيق أي مطمح من مطامح شعوبه : لا فى الوحدة العربية ، ولا فى الحرية ولا فى الديموقراطية ، ولا فى المجال الصناعى ، والتقنى ، ولا فى محاربة الأمية وتعميم التعليم والتعريب ، ولا فى التسليح الحربى ، ولا فى رفع مستوى شعوبه الاقتصادى والثقافى والاجتماعى ، وخسر إلى جانب كل ذلك كرامته الوطنية وعزته الدينية والقومية والتاريخية ، عندما وقف عاجزا منهزما فاقد الإرادة فكريا وسياسيا طيلة نصف قرن أمام إسرائيل ، الشئ الذى أثار اندهاش عدد من الكتاب والمفكرين والباحثين الغربيين أكثر من نظرائهم العرب أنفسهم ، - وفى هذا تأكيد لعمق وشمول الظاهرة التى سنتحدث عنها - هؤلاء الغربيون المندهشون لم يجدوا أي تفسير علمى لحالة السقوط والتمزق العربى ، ومن هؤلاء العالم الاجتماعى الفرنسى المستعرب چاك بيرك (١٩١٠ - ١٩٩٥) الشهير بتعاطفه مع القضايا العربية والمغاربية ، والذى عبر عن حزنه ودهشته من موقف العالم العربى من غزو إسرائيل للبنان واحتلالها لبيروت سنة ١٩٨٢ فكتب يقول :

"إننى حزين وحزين جدا للأحداث العربية الراهنة .. إن العرب منذ ١٩٤٨ قد أصبحوا روحا بلا جسد عندما قبلوا بالأمر الواقع .. واليوم أرى الجسد يُدفن من جديد .. لماذا هذه التنازلات الظالمة ؟!.. لماذا هذه السياسات المتخاذلة ؟!.. إن الأحداث الأخيرة أدمعت عينى ، وإن القضية العربية الأولى التى صارت رهان المستقبل العربى قد تعقدت أكثر مما كانت عليه .. وهذا ناتج عن التصرفات الطائشة .. ناتج عن عدم وجود حرية التعبير والمعارضة الوطنية الصادقة .. ناتج عن الازدواجية التى غزت الإنسان العربى .

إنها قمة المأساة أن مدينة عربية محاصرة لا يقوم بنجدتها أحد !.. قمة المأساة أن يخوض بلد عربى حربا ضروسا ولا يساعده أحد .. وهنا نتساءل :

هل انتهى عصر القومية العربية ؟..

إننى أؤمن بأن المواطن العربى قد تعب من الشعارات البراقة الزائفة ، وتعب من اللغو .. رسالتى للعرب أن يغادروا عصر الكلام .. والحروب الصغيرة .. والأحقاد والضغائن الفارغة .. رسالتى لهم أن يطرقوا أبواب العالم وبخطى راسخة لا تمسخ شخصيتهم ، إن الزمن العربى يواجه اليوم مخاضا عسكريا .. ولكن العرب سيخرجون من هذه المحنة التى تدمرهم" .

كان هذا رد فعل چاك بيرك الذى تحدث بصدق وإخلاص وغيرة وموضوعية علمية قل

نظيرها بين العرب والمسلمين أنفسهم ، وقد جمع فى نقده وموقفه هذا من الأفكار الغنية عن الشرح ، ما نشرحه ونحلله نحن منذ أربعين عاما ، ومن غير أن يكون مسلما لأنه وُلد فى الجزائر وعاش عشرين عاما فى المغرب ، وأتقن دراسة اللغة والحضارة العربية ، كما درس وعايش المجتمعات العربية ، واندمج فيها ، ودافع عن قضاياها الوطنية ضد الإمبريالية الغربية ، وترجم القرآن للغة الفرنسية ، وعرف عن خصائص العرب النفسية والاجتماعية ما لا يعرفه العرب عن أنفسهم ، "شفاعتى الوحيدة هى أننى صديق قديم للإسلام ، لقد قضيت سنوات عديدة فى دار الإسلام ، من المغرب إلى مصر ، لدرجة أننى لا أحس فيها بأننى غريب".

ماذا بقى له أن يقول عن العرب فى آخر أيامه عن كارثة حرب الخليج ، ومؤامرة أوسلو ومسرحية اتفاق غزة - أريحا بواشنطن ، وقمة الإرهاب الدولى فى شرم الشيخ ، ومهزلة السلام العربى المستحيل مع نتنياهو ؟

لقد حاول چاك بيرك فى كثير من كتبه ودراساته الاجتماعية تجنيب العرب سلبيات الحضارة الغربية ، وتوجيههم إلى إيجابياتهم ، ولم ينتقد فقط الاختيارات السياسية والأيديولوجية للأنظمة الحاكمة ، بل انتقد أيضا التوجهات الفكرية الثقافية لجمهور النخبة المتعلمة (الانتلجانسيا) وخاصة فى تقليدها الأعمى للغرب ، الذى سقط فيه ويسقط فيه الكثير من المفكرين العرب" .. هذا النقد الخالص الصادر عن مثل هذه الشخصية - العلمية كان السبب فى تجاهل الإعلام الغربى والعربى اليسارى لهذا العالم الاجتماعى الذى يستحق منا اليوم كل تقدير واحترام .

الشعوب الإسلامية انتصرت على الاستعمار بجهادها الإسلامى خلال القرن العشرين ، وانهزمت (حكوماتها المستقلة) بتخليها عن هذا الجهاد

كان واضحا عندى أن شعوب العالم العربى والإسلامى عامة التى واجهت أعظم معاركها وانتصاراتها على دول الاستعمار الغربى باسم "الجهاد الإسلامى" خلال القرن العشرين ، وفى طليعتها شعوب المغرب العربى ، عرفت بداية انتكاساتها مع انحراف أغلب "حكوماتها المستقلة" عن مواصلة خط "الجهاد الإسلامى" بتصفية جذور وجيوب (الاستعمار الثقافى واللغوى والفكرى) فضلا عن الاقتصادى ، فى أقطارها ، وإحلال "الشريعة الإسلامية" و"الحكم بما أنزل الله" محل القوانين التى وضعها الاستعمار وشرعها لهذه الأقطار ، لكن هذا لم يحدث .. والذى حدث هو أن هذه الشعوب لم تكد أفراحها (بأعياد الاستقلال) تنتهى حتى شعرت بأنها تدخل عهد "استعمار جديد" باسم "الاستقلال الوطنى" ، وهو استقلال تم بإشراف ومساعدة (الاستعمار القديم) الذى لم يبخل قط بهذه المساعدات ، كما أن الحكومات التى كانت فى حاجة إليها لم تر أى غضاضة فى خدمة مصالحه والعمل

بنصائحه مقابل تلك المساعدات ، وتمر الأيام لتكتشف هذه الشعوب أنها فقدت ليس فقط ثقافتها بل فقدت جيلا من أبنائها حل محل الاستعمار القديم ، واندمج فى ثقافته ونماذج سلوكه ، وخضع لتأثيرات غزوه الفكرى الذى شحنت به برامج التعليم والإعلام والأدب والفن وانقطعت صلته بتاريخه ومقومات دينه وحضارته .. وهكذا تحول الصراع ولم يعد كما كان بين الدولة شعبا وحكومة وبين النظام الاستعمارى القائم ، وإنما أصبح بين الشعب والحكومة التى اعترفت بشريعة وشرعية هذا النظام ، وآمنت بصلاحيته ، وفرضته بالقوة على هذا الشعب وأعلنت ولاءها وصداقتها لدولته .

أنصار "القومية العربية" لم يكتشفوا أسباب هزيمتهم !

أشرت آنفا إلى أن الأستاذ چاك بيرك تساءل بحزن : هل انتهى عصر القومية العربية ؟!.. ولمح إلى أنها مجرد شعار براق زائف ، تعب من ترديده المواطن العربى فى عصر الكلام واللغو العربى الذى ليس له أية مصداقية فى الواقع إذ كيف يُعقل أن تغزو إسرائيل لبنان وتحتل إحدى عواصم العالم العربى ، وتواصل ضربها للمقاومة الفلسطينية ، وتطرد ياسر عرفات وجيشه منها ، طيلة ثلاثة شهور دون أن يتحرك أحد من زعماء القومية العربية لنجدتها أو الدفاع عنها !!..

بعد عشر سنوات من هذا التاريخ قامت حرب الخليج العالمية لتعلن نهاية "القومية العربية" ، وقبل قيامها بمائة يوم قلت فى محاضرة بنادى الفكر الإسلامى .

"لو انهزمت العراق فى هذه الحرب ، فلا يشك أى مفكر سياسى فى أن الهزيمة ستلاحق العرب جميعا من الخليج إلى المحيط .. وأن هزيمة العراق لن تكون انتصارا لأى دولة عربية معادية لها الآن ، فالدول لا تنتصر بحروب الغير نيابة عنها !!..

وبعد أسبوع واحد من حرب الخليج كتب ميشيل جوبير وزير خارجية فرنسا سابقا يقول: "هناك مليار من المسلمين بينهم ٢٠٠ مليون من العرب ، فهل قدرهم أن يبقوا تحت الوصاية إلى ملا نهاية ؟!..

إذا كان الجواب بنعم فبوش على حق ، وإذا كان الجواب بلا فبوش على الطريق الخاطئ ، .. وسواء ربحوا الحرب أو خسروها فإن الأمريكيين لن ينسحبوا أبدا من مستعمرتهم البترولية "العربية السعودية" ، لكنهم إذا دمروا صدام وبلده سيجدون أنفسهم بدون محاور .. ثم تساءل : كيف يقبل أناس يشعرون بالمهانة منذ قرون مصيرهم بهذه السرعة لأن صدام أخفق ؟.. فهذا ليس من منطق تفكير العرب ، لكن العالم العربى بانقساماته وإحباطاته سيقول أن هناك لعنة تلحق به : إسرائيل ، العرب لا يقتنعون بإقرار السلام ، ولا يفعلون السلام ، إنهم يظهرون الاقتناع بما هو موجود لكن اتفاقيات السلام ليست من طباعهم لأنهم يعيشون بطريقة عاطفية ودينية ، فى استمرارية لا يُزعزها أى

شئ ، حتى خسارة الحرب !!.. العربى لا يقول بالسلام ، لا إنه ينتظر ، يفكر ، ولا يقول شيئا إنه لا يعبأ حتى بما يواجهه" .

إن "مأساة الفكر العربى" المستمرة هى هذه "البلاد السياسية" التى تتجلى فى بقايا أنصار "القومية العربية" الذين لم يستطيعوا أن يكتشفوا - رغم جميع التجارب المرة التى عصفت بهم - أن هذا الشعار السياسى الجديد على شعوبهم ، ليس له أى تأثير على نفوسهم لا دينيا ولا وطنيا ، وأن قيم التضامن والتعاطف والوحدة والأخوة تعلموها وآمنوا بها كجزء من عقيدتهم الدينية ، يتجاوبون معها بحماس وقوة فى الخطاب الإسلامى ، ويعتبرونها فى الخطاب العلمانى - القومى - الاشتراكى زيفا وتضليلا سياسيا ، وهذا هو سبب الانهيار الذى صاحب هذه الشعارات منذ سبعين عاما .

الاستعمار البريطانى أخطر وأقدم عدو للإسلام والوحدة الإسلامية

ولست أدرى هل القوميون والاشتراكيون العرب الذين جعلوا من قومياتهم واشتراكياتهم دينا جديدا حلّ عندهم محل الإسلام ، قرأوا النصوص البريطانية السرية التى تم الكشف عنها سنة ١٩٨٠ ، ومن بينها ما جاء فى تقرير وزير المستعمرات البريطانى (اورمسبى غو) لرئيس حكومته بتاريخ ٩ يناير ١٩٣٨) ، بعد ما ذكره بأنه كان طوال الخمسة والعشرين سنة الماضية (أى منذ ١٩١٢) مهتما للغاية بالسياسة البريطانية فى الشرق الأوسط ، وبأنه يلح عليها مرة أخرى لأنها أكثر تمشيا مع مصالح بريطانيا طويلة المدى فى ذلك الجزء من العالم : "إن الحرب علمتنا أن "الوحدة الإسلامية" هى الخطر الأعظم الذى ينبغى على الإمبراطورية أن تحذره وتحاربه ، وليس الإمبراطورية وحدها بل فرنسا أيضا ، ولفرحتنا فقد ذهبت الخلافة ، وأتمنى أن تكون إلى غير رجعة .. إن سياستنا تهدف دائما وأبدا إلى منع "الوحدة الإسلامية" و "التضامن الإسلامى" وينبغى أن تكون كذلك ، ففى السودان ونيجيريا كما هى الحال فى مصر ودول إسلامية أخرى ، شجعنا وبصواب نمو القوميات المحلية لكونها أقل خطرا من الوحدة والتضامن الإسلامى .

إن سياستنا الموالية للعرب فى الحرب العظمى (١٩١٤ - ١٩١٨) لم تكن مجرد نتائج لمتطلبات "تكتيكية" ضد القوات التركية بل كانت مخططة أيضا لفصل السيطرة على (المدينتين المقدستين مكة والمدينة) عن الخلافة العثمانية التى كانت قائمة آنذاك .

ولسعادتنا فإن كمال أتاتورك لم يضع تركيا فى مسار "قومى علمانى" فقط بل أدخل إصلاحات بعيدة الأثر أدت بالفعل إلى نقص معالم تركيا الإسلامية ، وفى إيران أيضا ، فإن رضا شاه قد اتبع سياسة تحد من قوة وإرادة "المؤسسات الدينية" ، وأدخل القبعة ، كما هى الحال فى تركيا ، بكل ما تحمل من مدلولات ، كرفض للعادة الإسلامية الموقرة المتبعة من قبل ولكن هذه النزعات فيما كان يُعرف بالعالم

الإسلامى ، يمكن مقاومتها بتشجيع من إيطاليا أو الهند فى اتجاه الوحدة العربية المرتكزة أساسا على الوحدة الإسلامية كخطوة أولى لبعثها".

هذه إذن هى "الاستراتيجية بعيدة المدى" التى وضعتها بريطانيا لنفسها فى مطلع القرن العشرين ، ونصحت فرنسا باتباعها عندما أدركت أنه يستحيل عليها الانتصار على الجيوش الإسلامية التى تقاتل باسم "الجهاد" لإعلاء كلمة الله ، ولاشك أنها خطة ماكرة لضرب "الوحدة الإسلامية" من الداخل ، وخلق عنصر "الصراع القومى" بين المسلمين فى قلب العالم الإسلامى دون ما حاجة لشن حرب مكشوفة عليه من الخارج ، وقد نجح هذا المخطط فى تمزيق وحدة الباكستان مع بنجلاديش ، وواجهته كل من تركيا والعراق مع الأكراد فى الداخل ، وهو المبرر الذى ارتكزت عليه العراق فى حربها لإيران ، واستعملته بمهارة كل من أمريكا وروسيا فى تمزيق وحدة "الشعب الأفغانى" بتسليح القوميات الوطنية ، وضرب بعضها ببعض ، وتشويه سمعة ووحدة "الجهاد الإسلامى" الذى كان له الفضل الأكبر فى إسقاط الاتحاد السوفيتى ، وحاولته فرنسا ولا تزال تحاوله لخلق صراع قومى بين العرب والبربر فى المغرب والجزائر منذ صدور "الظهير البربرى المغربى" سنة ١٩٣٠ ، وتسانده اليوم الاتجاهات اللادينية اليسارية باسم "الحركة الأمازيجية الفرنكفونية القبائلية" فى كل من الجزائر والمغرب.

ولم يقتصر خطر "الفكر القومى" و"الفكر الوطنى" بالمفهوم الغربى على تمزيق وحدة "الأمة الإسلامية" وضرب بعضها ببعض ، وعزل بعضها عن بعض ، بتشجيع ومساعدة الدول الاستعمارية ، وإنما أصبحت الاستعانة بهذه (الدول الصليبية - الصهيونية) سلوكا عاديا مُبررا بحجة الدفاع عن "الاستقلال الوطنى" !! .. ومساندا باسم (الشرعية الدولية) فى غيبة كاملة عن "الشرعية الإسلامية" !!... ومع ذلك فالمعروف عن العرب فى المشرق والمغرب أنهم لا يقرأون والذين يقرأون قلما يستوعبون الأحداث ، وينسون التاريخ ، ولا يتعظون بدروس الآخرين ولا يفكرون فى المستقبل البعيد ، وتتركز اهتماماتهم على حاضرهم ومصالحهم الخاصة والأخطر من ذلك أنهم يكرهون النقد الذاتى ، ويطربون للمدح والثناء.

وهذا ما يجعلنى أشك فى أن القادة والزعماء السياسيين العرب الذين قادوا الثورة العربية الأولى فى الشرق الأوسط ضد الخلافة العثمانية ، وساعدوا "الحلفاء" على إسقاطها ليقعوا هم بدورهم تحت احتلال هؤلاء الحلفاء ، أشك فى أنهم كانوا على وعى وإدراك كامل لمخطط الحلفاء نحوهم ، ولهذه (الاستراتيجية البريطانية - الفرنسية) المعادية للإسلام والمسلمين مهما اختلفت قومياتهم وأوطانهم.

الغرب لم يغير استراتيجيته ضد العرب والمسلمين

لكن المأساة هى أن الغرب لم يغير قط هذه "الاستراتيجية" منذ مطلع القرن العشرين بل عمل على تحسينها وتعميمها ، وكسب المزيد من الحلفاء لها فى الشرق والغرب ، ومع ذلك

ظلت أغلبية الدول العربية والإسلامية ، وأغلبية أحزابها ومثقفيها مستسلمة ومتعاونة مع هذه الاستراتيجية العدوانية دون أن تحرك ساكنا أو تدافع عن نفسها ووحدتها واستقلالها وهكذا شاهدنا أنظمة عربية وإسلامية اشتركت مع الدول الغربية فى حرب الخليج ، كما شاهدنا أربع عشرة دول عربية تشترك مع قادة الغرب وإسرائيل فى مؤتمر قمة شرم الشيخ للتنديد بالإرهاب الذى تعنى به إسرائيل وحلفاؤها الغربيون المقاومة الفلسطينية .

مسلسل هزائم المنظمة والأنظمة العربية لم يتوقف

هذا المسلسل من المآسى الفكرية ، ومن الهزائم والاستسلامات الميدانية كان لابد أن ينتهى بـ "منظمة السلام" الفلسطينية ، ودولتها الخرافية ، وبالعرب الذين اعترفوا بحق إسرائيل فى اغتصاب فلسطين مجانا مقابل حلمهم بتنازلها عن الضفة الغربية والقدس عاصمة لها ، إلى الشعور بخطورة الجريمة التى ارتكبوها فى حق الأمة الإسلامية والتاريخ العربى الإسلامى وبالفشل السياسى والهزيمة المطلقة ، حيث أن كل ما تنازلت عنه إسرائيل للمنظمة منذ مؤتمر السلام المنعقد بمدريد سنة ١٩٩٢ حتى اليوم حسب المشروع العربى المقترح : "الأرض مقابل السلام" هو ٣٪ فقط من الضفة التى تمثل ٢٤٪ من فلسطين !!.. وتساوم إسرائيل على رفعها إلى ٩٪ فى إطار تسوية نهائية كحد أقصى لضمان أمنها ، وترفض الاقتراح الأمريكى برفعها إلى ١٣٪ الذى قبلته المنظمة بعدما كانت تطالب بالانسحاب من ٣٠٪ .. إنها أغرب مهازل التاريخ أن يعتقد حزب أو زعيم أنه سيحرر أرضه من محتل سفاك للدماء بمفاوضات "السلام" ويتوسل بحلفاء هذا العدو ليرد إليه بعض حقه !!..

صوت (الجهاد الإسلامى) لايزال عاليا وصامدا

لكن "الصوت الإسلامى" لايزال عاليا وصامدا وفى أوج قوته وإيمانه ، إنه صوت زعيم المقاومة الإسلامية الفلسطينية وشيخ المجاهدين أحمد ياسين الذى دعا القادة العرب والمسلمين فى كل مكان إلى رفض الخنوع والخضوع والخديعة المتمثلة فى مبدأ الأرض مقابل السلام فى رسالة وجهها من جبل عرفات حيث أدى فريضة الحج (عام ١٤١٨هـ) : "إن مفاوضات السلام كانت خدعة كبرى شهدت عليها الدول الكبرى فى العالم ، وقد انكشفت عورات ذلك الاتفاق الظالم الذى وضع الحقوق المقدسة فى فلسطين وفرّق الأمة، وأوقف الانتفاضة الفلسطينية ، وكرّس الاحتلال ، وأصبحت فلسطين نهبا لقطعان المستوطنين من أجل أن تصبح القدس عاصمة أبدية لإسرائيل" ، وأضاف قائلا :

"إن موضوع الجلاء عن بيت المقدس وأكناف بيت المقدس ، وقيام دولة فى فلسطين أصبحت خارج الاتفاق ، كما أصبحت عودة اللاجئين الفلسطينيين من مهاجرهم قضية فيها نظر ، ولم يتحقق من اتفاق السلام المشؤوم إلا

عودة بعض المحاربين القدماء إلى أرض الوطن ولكن تحت سيادة العدو المحتل" . إلا أن ما يشكك فى جدية عزم المسئولين العرب على تحرير بيت المقدس وإقامة الدولة الفلسطينية هو أنهم يطلبون من أمريكا والاتحاد الأوروبى أن يضغطا على إسرائيل للوفاء بالتزاماتها بينما يمتنعون فى نفس الوقت من استعمال أبسط وسائلهم الشخصية للضغط المباشر عليها ، والمتمثلة فى قطع جميع العلاقات الاقتصادية والسياسية معها سراً وعلانية .

والمدهش فى الأمر أن أمريكا التى تستمد قدرا كبيرا من نفوذها الاقتصادى والسياسى على الغرب والشرق ، بفضل سيطرتها الفعلية على البترول العربى فى الخليج - وقد استعمله الرئيس الأمريكى بوش (الأب) بنجاح فى حرب الخليج : (من لم يساهم معنا بالمال أو السلاح فى هذه الحرب لا حق له فى البترول ؟) - كان من المفروض أن يدفعها هذا الوضع حفاظا على مصالحها الحيوية فى دول الخليج على الأقل ، وباعتبارها (ورقة قوة بيد العرب) إلى الضغط على إسرائيل ، وعدم الانحياز الكامل لها ضد العالم العربى ، ولكن هذا لم يحدث ، فلا العرب استعملوا بترولهم وأموالهم المودعة فى مخازن أمريكا أداة ضغط فعلية عليها ، وكأن هذه الأداة غير موجودة !!. ولا أمريكا أقامت أى وزن لـ "رد فعل العرب" ضدها ، وكأنه غير موجود !!.. ، وهذه صور أخرى لحالة (الذل والعجز العربى) لم أكن أجد لها تفسيراً لولا الحديث الذى أخرجه ابن مردويه عن أبى بكر الصديق قال رسول الله ﷺ : "ما ترك قوم الجهاد فى سبيل الله إلا ضربهم الله بذل .."

ورغم ذلك سيبقى صوت المسلمين قاطبة ، وعلماء المسلمين خاصة ، والدول الإسلامية المتحررة - وعلى رأسها الجمهورية الإسلامية الإيرانية التى تؤكد باستمرار رفضها الاعتراف بإسرائيل - مرتفعا ومطالبا بالجهاد لتحرير فلسطين ، والقدس الشريف ، والمسجد الأقصى والسماح للمتطوعين الفدائيين - كمرحلة أولى - لمشاركة أطفال الحجارة وحركة المقاومة الفلسطينية فى استنزاف الطاقة الإسرائيلية إلى أن يتحقق النصر بعونه تعالى وسيتحقق حتما كما وعد الله فى (الإفساد الثانى لبنى إسرائيل) .

عندما يعجز (العقل العربى) يتحرك (العقل الإسلامى) لنجدته

لكن إذا استمر العجز العربى ، ولم يتحول (العقل العربى) إلى (عقل إسلامى) - كما حدث فى فجر الإسلام - فإن التاريخ يؤكد لنا أن العرب عندما يفتقدون (العقل الإسلامى) فى مواجهة الأخطار الكبرى ، يسعفهم المسلمون غير العرب بهذا العقل ، ذلك لأن الانتصارات الإسلامية العظمى لم تتحقق فى تاريخ الإسلام إلا بفضل العقل الإسلامى حيثما وُجد : فبعد هزائم "العقل العربى" القبلى الطائفى عند أمراء الطوائف بالأندلس عبر القائد الإسلامى العظيم يوسف بن تاشفين بوغاز جبل طارق بجيشه الإسلامى من

المغرب إلى الأندلس وحقق انتصارا ساحقا على جيوش الفونس السادس ملك قشتالة فى معركة "الزلاقة" الشهيرة سنة (٤٧٩هـ - ١٠٨٦م)، استمر بفضلها الوجود الإسلامى بالأندلس أربعة قرون أخرى، وتأخر الغزو الاستعمارى - الصليبى للجزائر وتونس والمغرب وموريتانيا وليبيا أكثر من سبعة قرون.

وبعد مائة عام من هذه المعركة، وعجز "العقل العربى" فى الشرق الأوسط عن تحرير فلسطين، ودحر الصليبيين فى حملاتهم الثمانية استمرت ١٩٥ سنة (١٠٩٦ - ١٢٩١م)، كان القائد الإسلامى العظيم صلاح الدين الأيوبى يسجل انتصاره الحاسم على الصليبيين فى معركة "حطين" الشهيرة سنة (٥٨٣هـ - ١١٨٧م) التى أخرت أول غزو استعمارى صليبى فاشل على مصر وفلسطين سنة ١٨٩٨م بقيادة نابليون الأول أكثر من سبعة قرون أخرى.

- السلطان يوسف بن تاشفين كان بربريا مغربيا

- والسلطان صلاح الدين الأيوبى كان كرديا عراقيا

انتصر معا بفضل "العقل الإسلامى" الذى ظل متوهجا وطافحا بالإيمان وعقيدة الجهاد داخل المجتمع العربى نفسه، ومن الشائع المعروف أن التاريخ يعيد نفسه، وهذا ما تؤكده أحداث ٥٠ عاما من إفساد بنى إسرائيل فى الأرض.

فلاسفة العرب الكبار يعلنون نهاية (عصر الحداثة) وسقوط (النظريات الكبرى):

كيف نفسر إذن (مأساة الفكر العربى) التى يصفونها بالأزمة تلطيفا لوقعها على النفوس ؟.. بعد أن فشلت تفاسير الفكر الماركسى - الشيوعى الاشتراكى، والفكر الديموقراطى الرأسمالى - العلمانى، والفكر الفلسفى الإلحادى، وأعلن كبار فلاسفة الغرب "نهاية عصر الحداثة"، وسقوط "النظريات الكبرى" وعجزها عن قراءة العالم، ويعنون بها أساسا الانساق الفكرية المغلقة التى تتسم بالجمود والتى تزعم قدرتها على (التفسير الكلى للمجتمع) كما سقطت فكرة (الحتمية) سواء فى العلوم الطبيعية أو فى التاريخ الإنسانى فليست هناك حتمية فى التطور التاريخى من مرحلة إلى مرحلة ويعتقد هؤلاء الفلاسفة أن العالم يعيش مرحلة جديدة من تاريخ الإنسانية هى مرحلة "ما بعد الحداثة"، وتؤكد حركة "ما بعد الحداثة" أن التاريخ الإنسانى مفتوح على احتمالات متعددة.

لم يبق إلا التفسير الإسلامى لسقوط العالم العربى

تفسيرى لمأساة الفكر العربى، وسقوط العالم العربى كان نتيجة نصف قرن من التجارب والممارسة الفعلية الميدانية للحياة النضالية فى الساحة الوطنية والسياسية والثقافية والاجتماعية والدينية والتعليمية داخل المغرب وخارجه بالحضور والمشاركة فى الدراسات والأبحاث المتواصلة فى أكثر من ثمانين مؤتمرا وندوة فى كل عواصم العالم

العربى - الإسلامى تقريبا ، فضلا عن عواصم أو مدن إسبانيا وألمانيا وإيطاليا وكندا تركزت كلها حول الموضوعات والمشاكل الحيوية التى يعيشها العالم العربى - الإسلامى منذ الأربعينات حتى اليوم .

عايشت قيام إسرائيل ودرست موقف الإسلام والعرب منها ولأزال أتابع بالتحليل هذه المواقف سياسيا ودينيا .

وعايشت تجارب "الوحدات العربية" الإقليمية الفاشلة وانهيارها المتكرر خاصة مع (الوحدة المصرية - السورية) .

وعايشت فكر ومسار (الثورة العربية القومية) وانقلاباتها العسكرية وعايشت معارك وانتصارات الثورات الإسلامية الثلاثة: الجزائرية والأفغانية والإيرانية يوما بيوم ، وعاما بعد عام ، ودرست أسباب انتكاسة الأولى والثانية ، وعوامل انتصار الثالثة .

وعايشت (عجائب وغرائب بعد المؤتمرات العربية) .. وعايشت حروب الإبادة الصليبية التى واجهتها الشعوب الإسلامية فى البوسنة والهرسك والشيشان وكشمير والفليبين وكوسوفا وغيرها .. فضلا عن عملى كأستاذ وباحث فى الجامعة نحو ثلاثين عاما ، كتبت ونشرت خلالها وبعدها مئات الأبحاث والمقالات وعددا من الكتب والدراسات .

كل ما يحدث فى الكون ويصدر عن الإنسان خاضع لمشيئة الله وإرادته

ولأننى أؤمن - كجميع المؤمنين - بأن كل ما يحدث فى الكون ، وفى عصرنا الحديث الذى نعيش أحداثه اليومية ، هو بعلمه تعالى وإرادته ومشيئته تبعا لقوانينه الكونية الأزلية المطابقة لحكمته وقضائه وقدره ، وأن علينا فقط أن نرجع لكتابه الكريم ، وسنة رسوله الأمين ، لنتعرف على طبيعة هذه القوانين ، والعقوبات المترتبة عن مخالفتها فى الدنيا والآخرة ، خاصة بعد فشل النظريات والقوانين التى وضعها بعض المفكرين فى مطلع هذا القرن ، ظنا منهم أنها هى التى تتحكم فى تطور المجتمعات البشرية ليكتشف مفكرون آخرون - بعد تجربة شعوب عالمية لها - خلال جيلين من الزمن أنها خاطئة وأن مؤلف النظرية قد مات وماتت معه نظريته .

بقى علينا إذن - نحن علماء المسلمين - أن نكتشف التفسير الإسلامى للقوانين القرآنية التى تتحكم فى مسار التاريخ البشرى ، وتقرر مصير المجتمعات الإنسانية بعد أن غابت عن فكرنا ، ونقدمها لمجتمعاتنا المعاصرة فى إطارها العلمى - المنهجى .. وهذا ما نقصد إليه فى هذا البحث بعونه تعالى وتوفيقه .. وإلى اللقاء فى العدد القادم بعون الله ..

د . إدريس الكتانى
الرباط - المغرب

رائد الرواية الإسلامية
د. نجيب الكيلانى

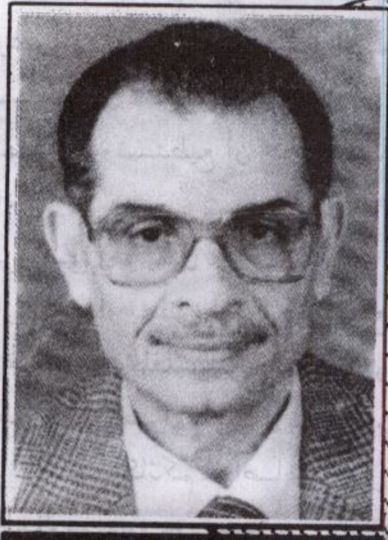

د . نجيب الكيلانى

عمر يظهر فى القدس

٨

- ما هذه الأوراق ؟..

- صحف الصباح يا أمير المؤمنين .. وهى مليئة بالأنباء المحلية والعالمية ..

دقق الخليفة النظر فيها ، ومر سريعا بصورها وأعمدتها فقلت :

- فى هذه الصفحات أخبار الدنيا شرقا وغربا ، لا تجد حادثا ذى بال أو مشكلة من المشاكل الدولية أو اكتشافا علميا أو احتكاكا عسكريا بين دولة وأخرى إلا وتجد عنه التفاصيل الكاملة فى نفس اليوم ..

قال الخليفة :

- عجيبة !!!.. فى نفس اليوم ؟..

- أجل ..

- كيف ؟؟..

- هناك مؤسسات خاصة للأنباء يجمعها مراسلوها ويبعثون بها باللاسلكى أو الراديو وآلات التيكر فى لحظات .. وفى الصحف أبواب للسياسة .. والفنون .. والأدب .. والعلوم .. وإعلانات عن السلع .. حتى الجرائم لها متخصصون يكتبون عنها .

حملق قائلا :

- تجلس هادئا فى بيتك ، وتقرأ كل أخبار الدنيا بينما تتناول فنجالا من القهوة أى سحر حملك على جناحيه إلى هذه الآفاق الشاسعة .. إن مثل هذا الاختراع يذيب الحواجز والحدود ، ويسخر من المسافات .. ما كان هذا ليخطر لنا على بال .. قدرة الله وسعت كل شئ ، وأنتم لا تدركون جلال هذه النعم ، لو بلغنا

بعض هذا الشأو لخرت الأمم ساجدة لله شكرا ، ولكنكم برغم هذه الآلاء تلغون فى الاثم والفجور تستطيع أن تمتطى هذه الوسائل إلى الخير والفضيلة ، وتستطيع أن تجعل منها مركبا للنساء ..

وابتسم فى رضى وهو يقول :

- صاروخكم أو بعض طائراتكم تقطع المسافة بين مكة وبيت المقدس فى وقت قصير .. وتتساءلون أكان إسراء الرسول بالروح أم بالجسد .. لو كنت مكانكم لما أصابنى أدنى شك فى إسراء الرسول بروحه وجسده .

أمسكت بالصحيفة وأخذت أقرأ عناوينها بصوت مرتفع :

"الدول الكبرى لم تتوصل إلى حل لمشكلة الشرق الأوسط" .. ، "أوثانت يصرح بأن على جميع دول المنطقة الالتزام بقرار مجلس الأمن" .. "اشتباك بين الفدائيين ودورية إسرائيلية فى الجليل الأعلى وغور الأردن" ، "تبادل إطلاق النار فى خط المواجهة بقناة السويس" ، "انفجار كبير فى القدس ، أحد المتهمين العرب يزعم أنه عمر بن الخطاب.." ودق قلبى .. ثم صورة للخليفة وأنا إلى جواره !!!.. أصبح الأمر مشاعا ، وستصبح القصة على كل لسان .. قال الخليفة :

- أهذه صورتى .. إن راسمها بارع .

- هذه الصورة من صنع آلة صغيرة .

- آلة صماء !!..

- أجل ، وتعمل وفق نظام دقيق ..

- ألا يصيبها الخلل ..

- بالطبع ..

كنت أناقش الخليفة ، وأنا نهب للفكر والقلق ، سمعته يقول :

- ماذا كتبوا عنى ؟؟..

همست فى خجل : نفس السخافات التى رددتها المخابرات الإسرائيلية

هز رأسه قائلا : يرموننى بالجنون ..

- فليقولوا ما شاءوا ، فستغش الحقيقة أعينهم .

لم يضايقه الأمر كثيرا ، أما أنا فقد أوجست خيفة ، لسوف يتقاطر الناس من كل مكان ليتسلوا بالأعجوبة ، وليشهدوا "المعجزة" ، وهذا سيحاصرنا بالفضول من كل مكان ، ويعوق الخليفة عن القيام بواجبه .

وهتف الخليفة : لو بلغنا من العلم الدنيوى ما بلغتم لما استغرقت هداية العالم منا أكثر من بضعة شهور ، ولأخذنا بيد الناس إلى الجادة .. ويبدو أن زعماء العالم اليوم لا يستغلون ما وهبهم الله من قدرات إلا لجركم إلى الانحراف والخنوع والغرور ..

القوة فى أيديكم وسيلة لقهر المساكين ، والرفاهية تخمة وأدواء ، والحرية دعارة ، والعلم تحكيم للأنانية على مستوى الفرد والدولة .

ثم صاح : ألم يفهم فى عصركم رجل واحد يأخذ بيد العلم إلى الإيمان ؟؟..

تنهدت فى حسرة :

- لم يخفت ذلك الصوت على طول الزمان.

- والنتيجة ..

- لكأنما أصبنا بالصمم ..

- وكيف تشق الكلمات طريقها عبر الضجيج والهياج وسعار الشهوات ؟.. السياط التى ترهقون بها ظهور الأبرياء فى السجون ، لو استعملتموها فى جلد الدعارات والزيغ لتطهرت مجتمعاتكم من الأوبئة ، ولسادت الفضيلة كل الأنحاء ..

كز عمر على أسنانه ، وساد وجهه شحوب ظاهر ، وتندى جبينه بالعرق ، وتقبضت عضلات وجهه ثم انحنى قليلا إلى الأمام واضعا يده على بطنه جهة اليمين قليلا ، وتمتم:

- لم أعد قادرا على احتمال تلك الآلام ..

وثبت من مكانى مضطربا ، وقلت :

- ماذا بك يا أمير المؤمنين ؟؟..

- لكأنى تجرعت سما .. آلام بشعة تعتصر أحشائى ..؟

- لابد من زيارة طبيب .

قال فى كلمات متقطعة :

- كنا على عهد الرسول نشرب منقوعا لبعض الأعشاب بعد غليها .. وسرعان ما كانت تختفى الآلام ..

وذكر عمر اسما غريبا لبعض الأعشاب لم أسمع به من قبل ، وفكرت فى تصفح قاموس اللغة الذى أمتلكه ، لكنى حاولت اقناع الخليفة بأن زيارة الطبيب لابد منها ، وهى لن تستغرق سوى بضع دقائق ، وبالطبع أعطيته فكرة عن الطب وتقدمه فى عصرنا ، ومجالات الجراحة والعقاقير والتخصصات الكثيرة ، والسنوات الطويلة التى يقضيها الطبيب لكى ينال إجازته ..

وكان واضحا أن الخليفة لديه رغبة دائمة فى التعرف على كل جديد ، ومحاولة اكتشاف كنه كل شئ يقابله ، وكثيرا ما كان يقول لى إنه لكى تصدر حكما فى أية قضية من القضايا يجب أولا أن تلم بكل أطرافها ، وتتصورها وكأنك تعايشها ..

وعندما دلفنا إلى إحدى المستشفيات العربية بالقدس القديمة مال عمر نحوى قائلا :

- أبينهم صهيونيون ؟..

- لا ..

- وهل تثق فى هؤلاء الأطباء ؟..

- كل الثقة ، ولى بينهم أصدقاء ..

جلس الخليفة على طاولة الكشف النظيفة البيضاء ، وأخذت عيناه تدوران فى أرجاء الغرفة المكيفة الهواء ، ويرقب الأضواء المشعة من السقف حيث لمبات النيون الصافية ، وينظر إلى الصور الملونة التى تبرز أحشاء الإنسان وأجهزة جسمه المختلفة ، واتسعت حدقتاه دهشة وهو يرى هيكلا عظميا كاملا معلقا فى ركن من أركان الحجرة وهمس :

- أيمكن أن يحدث ذلك ؟؟..

- إنه هيكل حقيقى ..

- من صاحبه ؟..

- عبد من عبيد الله ..

تمتم فى ألم عميق :

- ذهب كل شئ .. ذاب الجلد واللحم .. وتبخرت الأحشاء .. وماتت الرغبة .. لا جموع ولا تمرد .. لم يبق سوى عظام نخرة لا

حراك بها ..

وأخذ يستغفر الله ويحوقل ثم استطرد :

- كأنه قطع من خشب .. تعرت من كل كبرياء

وتمتم فى أسى :

- تزينون قصوركم بعظام الموتى ..

- حاشا لله ، إنه شئ للتعلم والدراسة ..

ودخلت فتاة ممشوقة القوام ، رائقة البشرة ، حلوة السمات ، تغطى رأسها بغطاء أبيض ، وترتدى زيا محتشما سابغا ، لا يبدى سوى جزء من عنقها ويديها والجزء الأسفل من ساقيها ، وعلى وجهها ابتسامة وادعة يوشيها حزن غامض ، واقتربت من عمر ، وهى تمد يدها بمقياس الحرارة ، فامتنع محتجا وهو يقول :

- أهذا هو الطبيب ؟..

- بل الممرضة ..

- ماذا تريد منى ؟..

قالت باسمة : لابد من تسجيل الحرارة والنبض وضغط الدم ..

وتدخلت قائلا :

- هذا هو الأسلوب المتبع يا أمير المؤمنين ، لا مجال للاعتراض ..

- لا أستطيع أن أسلم بكل ما تعلمونه ، يجب أن أفهم ، أتريدون تخفيف آلامى مقابل امتهان خلقى وكرامتى ؟؟..

وكان لابد أن أشرح له ما غمض ، وأقنعه بما يجرى ، وسرعان ما فتح فمه ، ثم أطبق بشفتيه على مقياس الحرارة ، وبعد أن تم أخذ الحرارة قال :

- لماذا لا يقوم رجل بهذه المهمة ، أليس من الأوفق أن تُخصص هذه الفتاة للمرضى من النساء ..

قلت فى دهشة :

- ألا يجوز أن تقوم النساء بعمل كهذا ؟؟

- لا أعنى ذلك .. بعض نسائنا اشتركن فى المعارك ، وحملن السيوف ، وضمدن الجراح .. لكن نساءنا كن غير نسائكم ، أنتم تسيئون استخدام الرخص ، وتنفرون من الفروض ..

جاء الطبيب بعد وقت قصير صامتا ، وإن ابتسم بحكم العادة ، فقلت لأبدد الوحشة والوجوم :

- طبيب من مصر ؟..

التفت عمر إليه قائلا :

- أو تذكرون عمرو بن العاص ؟..

ابتسم الطبيب ، ثم شرد بنظراته إلى بعيد .

- كانت أياما رائدة قل أن يجود بمثلها الزمان ..

قال الخليفة فى عتاب : وكانت له هنات ، لم يكن من العدل أن تمر دون حساب عسير ..

أجاب الطبيب بابتسامة مقتضبة ، ثم أخذ فى الفحص الطبى ، آنا يضع المسماع على صدره وقلبه ، وآنا آخر يضغط بيده على أماكن مختلفة من البطن ، ثم أخذ يوجه بعض الأسئلة المتعلقة بالطعام والشراب والهضم ، وحركة الجهاز البولى ، ووقت ابتداء الأعراض وصفاتها .. أسئلة دقيقة شاملة لكل شئ ..

وتمتم عمر :

- هل عرفت الداء ؟..

- أجل ، لكن لابد من إجراء فحوص مختبرية تتعلق بالبول والدم والبراز ، وقد نحتاج لصورة بالأشعة السينية ..

ابتسم عمر برغم الآلام وقال : لا أعرف معنى لما تقول .. لكن أنتم متسرعون فى كل شئ إلا تخفيف آلام البشر .

وتوقف الطبيب فجأة عن الفحص ، وأطال النظر إلى وجه الخليفة وهتف :

- يخيل لى أنى رأيت صورتك اليوم فى الصحف ..

هز عمر رأسه ضاحكا وقال : أجل .. أنا مجنون الأمس .. يا عالم الفضائح ..

قال الطبيب : إنها فرية رموك بها ، الصحف الإسرائيلية خاصة مولعة بالأكاذيب والقصص المثيرة .

دهش الطبيب حينما سمع مريضه يقول :

- وما وجه الغرابة فى أن أكون عمر ؟..

شمله الطبيب بنظرات شك :

- إنه شئ غير مألوف ..

- غير مألوف ، لكنه جائز ..

ألم يقرأ اليهود شيئا عن قتيل بنى إسرائيل والبقرة ؟؟.. وعزير ؟؟.. الإيمان بالله يتضمن بداهة الإيمان بقدرته ، وأنت عالم ..

همس الطبيب فى حيرة :

- كلام منطقى ، لكن يتعذر علىّ قبوله ..

- منطقى .. ومقنع .. ثم ترفضه ؟

- تلك هى الحقيقة ..

- إيمان غريب ..

- يقينى الوحيد أيها الشيخ هو أنك فى كامل قوامك العقلية ..

قال الخليفة بهدوء وثقة :

- وكيف أقمت بناء هذا اليقين ؟؟..

- المشاهدة والتأمل ومقاييس العلم والمنطق.

- أى ولدى .. أنت تمزق حديثى .. وتنتقى منه ما تشاء .. تلك خطيئة التجزئة .. الفهم الموحد أين ؟؟ لم لا تقبلنى أو ترفضنى ككل .

هكذا تكلم عمر

وقال الطبيب وقد بدا الارتياح على وجهه :

- لنخفف آلامك أولا .. أعتقد أنك مصاب بالتهاب بالزائدة الدودية ، وستحتاج لجراحة عاجلة .. هذا المرض فى كبار السن يحتاج إلى تدخل سريع ..

دق قلبى ، وفاجأنى اضطراب مباغت ، ماذا لو مات الخليفة أثناء العملية ؟؟.. الحدث الكبير ينتهى هكذا بسرعة وتجهض آمالى العريضة ، أى ازعاج أعانيه !!

قلت : يا صديقى الطبيب ، أليس هناك بديل للجراحة ؟..

- لا أضمن ..

تدخل عمر قائلا :

- لا تزعجنى الآلام كثيرا .. وما دام الأمر ضروريا ، فإن قضاء الله لا فكاك منه .. إننى أفر من قدر الله إلى قدر الله ..

همس الطبيب : لن تشعر بأدنى ألم ، فستسلم لنوم هادئ عميق .

د . نجيب الكيلانى

المسلمون الذين أسهموا في نهضة استراليا ثم انقرضوا

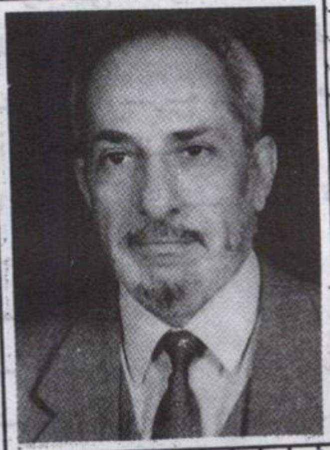

محمد يوسف عدس
مستشار سابق بهيئة اليونسكو

أثناء عملى بالمكتبة القومية فى استراليا صادفتنى بعض وقائع كشفت لى عن حقائق غريبة عن جماعة من المسلمين ظهرت مبكرا فى تاريخ استراليا ثم اختفت أو تلاشت كما ظهرت بشكل درامى.

كنت فى بادئ الأمـــر أظن أن المسلمين لم يعرفوا طريق الهجرة إلى استراليا إلا بعد الحرب العالمية الثانية عندما ألغى «قانون استراليا البيضاء» الذى كان يحرم على الأجناس الملونة دخول استراليا.

وكان لهذا القانون خلفية تاريخية فقد أريد به بصفة خاصة التخلص من الجنس الأصفر أو على وجه التحديد طرد الصينيين الذين جلبوا إلى استراليا للمساعدة فى الحفر والبحث عن الذهب، فلما نضبت مناجم الذهب لم يعد وجود الصينيين مرغوبا فيه من جانب الاستراليين، فكان عليهم أن يعودوا من حيث أتوا.

ولعلنا نجد اليوم أمثله على ذلك فى موقف أوربا تجاه الأقليات الملونة التى سمح لها بدخول أوربا لتعيد بناء ما خربته الحرب العالمية الثانية ، ولتساعد هذه البلاد فى استعادة صناعتها وزراعتها التى دمرتها الحرب ، فلما استقام الاقتصاد وازدهرت الصناعة والزراعة وطغت التكنولوجيا الحديثة ظهرت نزعات عنصرية فى أوربا تهدف إلى طرد المهاجرين الملونين الذين اعتبروا عبئا على الاقتصاد وعلى البيئة وعلى الثقافة الأوربية .

أول ما لفت نظرى إلى موضوع الجماعة التى أشرت إليها آنفا هذه الواقعة : جاءنى من قبل إدارة المكتبة القومية أحد موظفى الحكومة الاسترالية يحمل كتابا مطبوعا بحروف غير مألوفة قدرت الإدارة أنها ربما تكون هى اللغة العربية ، ولما كنت خبيرا فى العربية فقد أحيل إلى الموضوع قال الرجل :

إن هذا الكتاب كان موجودا فى محكمة مدينة «دارون» منذ مايقرب من مائة سنة .. وقد قيل لى إنه كتاب مقدس كان الأفغان المسلمون يقسمون عليه عندما يستدعى أحدهم إلى الشهادة فى المحكمة . فقلت له مندهشا : أفغان مسلمون فى دارون ؟ ومنذ مائة سنة !.. فأجاب الرجل نعم .. هذا ماقيل لى .

فلما أخذت الكتاب وتفحصته وجدته مصحفا طبع فى تركيا منذ ثلاثمائة سنة .. ولقد أدهشنى أكثر أن تحتفظ به محكمة دارون على مدى تلك السنوات الطويلة بهذه الحالة الجيدة .

أما الواقعة الثانية فقد حدثت بعد ذلك بعام تقريبا عندما كنت أعمل فى إحدى الأمسيات بقسم المراجع فى المكتبة القومية حيث جاءنى شاب استرالى فى الثلاثينات من عمره يطلب منى مساعدته فى الحصول على كل ماكتب عن الأفغان فى استراليا . فسألته : هل لى أن أعرف سر اهتمامك بهذا الموضوع بالذات ، وماهو مستوى المعلومات التى تخدم غرضك؟ فأجاب أما عن مستوى المعلومات فأنا أعمل بالصحافة وأدرس فى نفس الوقت للحصول على الماجستير فى تاريخ استراليا ... أما سر اهتمامى بالأفغان بالذات فلأن هذه الفئة من الاستراليين الأوائل - كما أعتقد - قد أدوا خدمات جليلة لاستراليا وقاموا بدور مهم فى تطويرها ومن الإنصاف أن نتعرف على حقيقة هذا الدور ، لقد لفت نظرى فى هيئة هذا الباحث أمران متميزان فرغم أن اسمه «مايكل» ولونه أبيض وعينيه زرقاوتين إلا أن استدارة رأسه والاغوار البعيدة التى تطالعك من عينيه جعلتنى أشعر بأن وراء اهتمامه بموضوعه دوافع أخرى ، ومن ثم سألته هل تسمح لى باسمك الكامل ؟

فلما ذكره تأكد لى أنه - كما توقعت - ينتمى إلى تلك الجماعة التى اندثرت آثارها من صفحات التاريخ الاسترالى . وقد جاء

سليل هؤلاء الأفغان يبحث عن قصة أصوله وأجداده متخفيا فى رسالة ماجستير .

أما ثالثة الوقائع فقد حدثت عند ما كنت أبحث فى المكتبة عن مواد تصلح لدراسة السيد «مايكل» حيث وقع فى يدى كتاب يحتوى على قصة الأفغان المسلمين فى استراليا ضمن قصص أخرى ، ومؤلف هذا الكتاب يدعى «جورج فارول» . وأما كتابه فعنوانه : «استراليون اندثروا» .

لقد استمتعت بقراءة هذا الكتاب الشيق المثير بقدر ما انزعجت لما أصاب الأفغان المسلمين الذين انقرضوا من استراليا ، فأنا مهاجر مثل الأفغان ومسلم مثلهم ، فالأمر يحتاج إلى وقفة للتأمل والتفكير . خاصة وأننى كنت ألاحظ بوادر الانهيار فى الهوية الإسلامية للجالية المصرية باستراليا ، كان هناك ما يسمى «عبدالجليل» فاذا به يصبح «جيل» ومن كان اسمه مصطفى يدعى «ستيف» ، هذا بالنسبة للجيل الأول من المهاجرين فماذا ينتظر الأجيال التالية؟ «جورج فارول» مغامر استرالى باحث عن المتاعب لديه استعداد لركوب الصعاب بحثا عن أى معلومة غريبة ترضى شغفه ونشبع حبه للمعرفة ، رحل الرجل إلى المناطق النائية عند أطراف الغابات وفى أعماق الصحراوات سعيا وراء أخبار بعض جماعات من الاستراليين كان لهم فى يوم من الأيام شأن فى استراليا ولكنهم نتيجة تغيرات وظروف معينة انقرضوا أو ذابوا فى نسيج المجتمع الكبير.

كان «جورج فارول» يعتقد أن هذه الجماعات المنقرضة قد أدت أدوارا مهمة فى تطوير استراليا وتعميرها ، رغم تجاهل المؤرخين لهذه الأدوار ولذلك يرى أن أبسط ما يجب نحو هؤلاء الناس هو التعرف على حقيقة هذه الأدوار والتنويه بأصحابها .

أمضى الرجل سنوات من عمره يرتحل من مكان لآخر يجمع المعلومات ويلتقى بشخصيات من أبناء هذه الجماعات كانت مصدرا من مصادر كتابه المشار إليه والذى اختار له عنوانا دالاً على طبيعة موضوعه «استراليون اندثروا ».

فى هذا الكتاب أعاد المؤلف إلى الأذهان صورة الحياة اليومية التى عاشها هؤلاء الناس وصور المعاناة التى عانوها والإنجازات التى حققوها وفترات الازدهار التى تمتعوا بها ، ثم يصف لنا كيف تقلبت بهم الأيام وتغيرت الحياة فتدهورت صناعتهم وكسدت تجارتهم واضمحلت مكانتهم وتفرقوا فى شعاب الأرض.

من هؤلاء الاستراليين الأوائل الذين انقرضوا وتبددوا كانت جماعة من المسلمين الهنود من سائقى الجمال «الإبل» جاءوا بحيواناتهم وأدواتهم وزوجاتهم ليعيشوا ويعملوا فى استراليا فكانوا بذلك أول المسلمين الذين تطأ أقدامهم أرض القارة البكر ، غير أنهم عرفوا هناك باسم الأفغان ، ويبدو أن هذه التسمية

ترجع إلى أن هؤلاء الناس جاءوا من قبائل كانت تسكن مناطق الحدود بين الهند وأفغانستان وهى قبائل ذات أصول واحدة وإن توزعت على الحدود بين البلدين .

تبدأ قصة المسلمين الأوائل فى استراليا خلال الستينات من القرن قبل الماضى وعلى وجه التحديد سنه ١٨٦٠ عندما ظهرت الحاجة إلى استكشاف الصحراء الاسترالية الشاسعة واستغلال ثرواتها ، فقد استطاع المستعمرون الإنجليز أن ينتشروا على الشريط الساحلى الخصيب الذى يحف بالقارة ، ولكنهم لم يستطيعوا التوغل فى وسطها الصحراوى لافتقارهم إلى وسائل النقل المناسبة فجاء سير «توماس ألدر» بالحل حيث جلب معه إلى استراليا ١٢٠ جملاً يصحبها سائقوها الذين أطلق عليهم - كما ذكرنا - اسم الأفغان وبقدوم هؤلاء الأفغان ابتدأت صفحة جديدة فى تاريخ استراليا ، فقد بدأت الاستكشافات فى الصحراء وامتدت إليها السكك الحديدية ووصلت إليها المياه ، ونقلت الأدوات والمعدات والمواد اللازمه لبناء المزارع والمساكن والمناجم وانفتحت بذلك على استراليا كنوز من الثروات الطبيعية من الذهب والفحم والحديد .

قبل استيراد الجمال كانت الثيران هى سيدة وسائل النقل فى الغابات وفى المناطق الجبلية والساحلية التى انتشرت فيها المراعى وازدهرت صناعة قطع الأخشاب ، ومن ثم اتجه النظر إلى جلب الجمال من خارج استراليا ولما كانت قيادة الجمال تحتاج خبرة ومهارة خاصة فإن استجلاب سائقى الجمال الأفغان كان ضروريا . وبقدوم الأفغان بدأت استراليا تشهد صورة جديدة من الناس مختلفين فى لونهم وفى دينهم وملبسهم وأسلوب حياتهم وعمائمهم الملونة . وشهدت الصحراء الاسترالية على مدى عشرات السنين قوافل الجمال تتهادى فى سيرها قاطعة مئات الأميال يقودها هؤلاء الأفغان صامتين متميزين بسمت وقور رزين ، متحلين بأخلاق الصبر والشهامة والحكمة والأدب .

عمل الأفغان فى دأب فنقلوا للمستكشفين أدواتهم وإمداداتهم من الطعام والشراب وأرشدوهم إلى مصادر المياه فى أرض الصحراء ، ونقلوا للعاملين فى المزارع والمناجم معدات الحفر وأسلاك الأسوار . كما نقلوا الحديد والخشب اللازمين للبناء ، ونقلوا القضبان الحديدية والفلنكات لبناء السكك الحديدية التى ربطت قلب الصحراء بسواحل القارة ، وفى مرحلة لاحقة اشتغلوا بنقل الصوف من مزارع الأغنام إلى موانئ الأنهار حيث كانت تحملها السفن إلى مناطق التسويق .

كانت رحلات القوافل طويلة بطيئة ولكن لم يكن هناك بديل عنها حتى بعد أن ظهرت سيارات النقل فى أعقاب الحرب العالمية

الأولى فقد ظلت قوافل الجمال ترى وهى تنقل أخشاب الوقود فى جنوب استراليا كما رؤيت فى مناطق أخرى تنقل المياه لمزارع الأغنام فى براميل محمولة على عربات تجرها الجمال .

ويبدو أن الاستراليين البيض كانوا يريدون التخلص من الأفغان فحاولوا استخدام الجمال بأنفسهم ولكنهم لم يفلحوا ، وهنا يذكر لنا «جورج فارول» أن الجمل يتمتع بتركيبة عضوية وفسيولوجية خاصة ، علاوة على قدرته التى لا تبارى على الجوع والعطش والصبر والنفس الطويل فى قطع المسافات الشاسعة دون كلل أو تعب ، وأنه يحتاج إلي قائد ماهر يعرف خصائصه وطباعه ويحسن معاملته وتدريبه وأن هذه الخبرة لم تتوفر فى استراليا لغير الأفغان .

أما الاستراليون البيض فما كانت لديهم الخبرة ولا المهارة ولا المعرفة بل كانت لديهم أفكار خاطئة عن الجمال أوردتهم موارد التهلكة ، فقد اعتقدوا أن الجمال تحوى فى بطونها خزانات من المياه كبيرة ، وما على الإنسان حين يحتاج الماء إلا أن يفتح بطن الجمل ليروى ظمأه ، وبسبب هذه الأفكار الخاطئة عن الجمال هلك أناس كثيرون أهملوا التزود بالماء الكافى عندما ذهبوا فى رحلاتهم الصحراوية بالجمال فلما بقروا بطون الجمال لم يجدوا ماء فهلكوا وقضوا على حيواناتهم وانطبق عليهم القول المأثور «لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى» ومن هذا القبيل تحكى حكايات كثيرة عن أناس هلكوا بسبب جهلهم وأفكارهم الخاطئة عن الجمال .

ارتبطت سيرة الأفغان فى استراليا بالبعثات الاستكشافية الكبرى وسجلهم فى ذلك حافل بالإسهامات التى لا يمكن إنكارها ، فما كان لبعثة استكشافية أن تنجح فى الصحراء بدون قوافل الأفغان ، ومن بين البعثات كانت بعثة «كالفرت» الشهيرة فى صحراء فكتوريا الكبرى سنة ١٨٩٦ .

وفى ذلك يحكى لنا «جورج فارول» أنه فى مرحلة من مراحل هذه البعثة قضى المستكشفون والأفغان شهرا كاملا لم يصادفوا أثرا للمياه ولكنهم استطاعوا أن يحافظوا على حياتهم بفضل حكمة «قائد القافلة ونصائحه واقتصاده فى استخدام المياه حتى أن جمال القافلة رغم أنها لم تحظ إلا بأقل القليل من مخصصاتها فى الماء إلا أنها احتفظت بكفاءتها طوال الرحلة .

ويمضى المؤلف فيحكى لنا قصصا عن مهارة سائقى الجمال الأفغان وما قاموا به من جهود فى الحفاظ على حياة الرواد الأوائل من المستكشفين ويصف لنا فى هذا السياق كيف أن أحد سائقى الجمال ويدعى «بيجا درويش» استطاع أن يتتبع آثار طريق قديم مهجور فى صحراء غرب استراليا بحثا عن الماء بعد أن شح وأوشك أفراد بعثة «كالفرت» على الهلاك ولكن «بيجا» وصل إلى آبار المياه فى الوقت المناسب وأنقذ

بذلك البعثة وذلك بفضل خبرته العميقة بالصحراء وقدرته فى تتبع الأثر ، وفى هذه البقعة النائية لايزال اسم «بيجا» يطلق على جبل هناك يراه الاستراليون اليوم وهم يمرون عليه فى رحلاتهم ولكنهم لا يعلمون أصل هذ التسمية .

وفى مقابل هذه القصة يذكر لنا المؤلف قصة مجموعة أخرى فى بعثة «كالفرت» نفسها أصروا على سلوك طريق آخر رجحوا أنه الطريق الصحيح إلى آبار المياه ، ولكنهم هلكوا ولم يصلوا لشئ ، ولما ذهب رئيس البعثة مع «بيجا» يبحث عنهم وجدهم جثثا ممدة بجانب بعضها البعض ومعهم قطعة قماش مكتوب عليها آخر تقرير لهم : «لقد أخفقنا فى معاملة الجمال فهربت منا فى ذات مساء» يقول المؤلف متتبعا سيرة «بيجا» الذى توفى فى الخمسينات من هذا القرن عن عمر بلغ ٩٦ عاما ... لقد كان «بيجا» يتمتع بشخصية جذابة وأخلاق عالية وآدب جم . مما أكسبه احترام أبناء شعبه واحترام الاستراليين على حد سواء ، وقد اعتبره الجميع الأب الروحى لشعبه الذى انقرض .

كان المؤلف حريصا على لقاء «بيجا» والتحدث إليه فذهب يبحث عنه فى مدينة «مارى» حيث كان يعيش . يقول : مدينة «مارى» مدينة صغيرة منعزلة يقطعها خط السكة الحديدية الذاهب من «أليس سبرنجش» إلى «أديلايد» فى جنوب استراليا .. والغريب أن هذا الخط كان يفصل بين عالمين لا تواصل بينهما كأنه حد فاصل بين دولتين ، فعلى الجانب الأيمن منه كان يعيش الأوروبيون البيض من تجار الماشية والبقالين وسائقى الحافلات وموظفى البريد ، أما على الجانب الأيسر فقد كان يسكن الأفغان المسلمون ومعهم الاستراليون السود المعروفون باسم «أبو رجينيز» .

ويتابع المؤلف كلامه قائلا : «ولم أكن أعرف -أننى عندما عبرت من الجانب الأيمن إلى الجانب الأيسر - قد ارتكبت إثما مجرما لا يغتفره الاستراليون البيض .. على كل حال عندما وصلت إلى بيت «بيجا» قيل لى إنه رحل إلى العالم الآخر ، فدخلت لمقابلة ابنه وكان يدعى «جاك فرأيته منهمكا فى جدل مع واحد من أصدقائه وسمعته يقول له بحده :

«الآن أرجو أن تكون صادقا هذه المرة ولو على سبيل التغيير ، إنك تتحدث كرجل أبيض»!!.. ويعقب المؤلف على ذلك بقوله : من هذا الحديث العفوى لمحت إشارة إلى التعصب اللونى الذى يعانى منه الأفغان .

لقد شعر الاستراليون البيض بخطر الأفغان على صناعتهم منذ أتى بهم «سيرتوماس ألدر» وهالهم السرعة التى استطاع بها سائقوا الجمال الملونون أن يسيطروا على وسائل النقل والمواصلات فى استراليا فى مرحلة من أهم

مراحل تطورها من البدائية إلي عصر البخار والتكنولوجيا . ومن ناحية أخرى أحس الأفغان بأهميتهم وأدركوا مكانتهم فأخذوا ينظمون صناعتهم وذهبوا إلى موطنهم يستجلبون أعداداً أخرى من أبناء جلدتهم ومن الجمال ، وتوسعوا فى خدماتهم ، فانتشروا فى أنحاء القارة حتى أصبحت السيطرة لهم كاملة على وسائل النقل والمواصلات ، نجح الأفغان فى مساعدة استراليا للانتقال من عصر إلى عصر ، ولكنهم فى طريق نجاحهم أزاحوا من طريقهم سائقى الثيران ، فقد كانت وسيلتهم أبطأ وأكثر تكلفة لقد استطاعت قوافل الجمال أن تغطى خمسه أمثال المسافة التى كانت تقطعها الثيران فى نفس المدة ، وحتى العربات التى كانت تجرها الخيول لم تكن تستطيع منافسة الجمال فى سرعتها .

هذا النجاح فى حد ذاته كان سببا في الاضطرابات العنصرية بين الأفغان وبين الأوربيين البيض الذين استخدموا فى معاركهم الأيدى والسكاكين وهم يتحرشون بالأفغان فى طريق أسفارهم خلال مستعمرة « كوينزلاند » ، وقد رفع الأوروبيون شكوى إلى حاكم « كوينزلاند » يطلبون استبعاد الأفغان من المستعمرة وكان تبرير الشكوى ليس على أساس قلة الكفاءة ولكن فقط على أساس اختلافهم فى اللون .. وخسر الأوربيون القضية وبقى الأفغان على أساس الضرورة الاقتصادية فإن أصحاب المزارع والمراعى لم يستطيعوا فى ذلك الوقت الاستغناء عن خدماتهم .

فلما ظهرت وسائل حديثة فى النقل والمواصلات أكثر سرعة أخذت أهمية قوافل الجمال تتلاشى .. وهكذا جاء دور الأفغان لكى يخرجوا من الصورة .

يقول «جورج فارول» وكأنه يودع عصرا يحتضر : بعد ما يقرب من ثمانين عاما من العمل الدءوب والانتشار الناجح بدأت قوافل الأفغان تتلاشى من الأفق .. أما أولئك الأفغان المتوحدون المتجلدون الذين حافظوا على هويتهم وأسلوب حياتهم وحافظوا على تلك العمامة المتميزة وهم يقطعون المسافات الشاسعة يمشون فى ظلال جمالهم التى تتهادى فى الصحراوات الاسترالية .. هؤلاء الأفغان أخذوا يتلاشون فى السراب الذى جاءوا منه ذات يوم بأسلوب درامى لا سابقة له فى تاريخ استراليا .. أما ذلك الحيوان العنيد الذى كانوا يقودونه من أنفه الكبير فقد انطلق من قوافله وتسرب إلى الخلاء الرحيب .. وتعيش اليوم فى استراليا آلاف الجمال التى استوحشت ، وبعد أن كانت ذات أهمية وفائدة أصبح شأنها كشأن الحيوانات الضالة الأخرى .

انسحب كثير من الأفغان .. عادوا أدراجهم مرة أخرى إلى قراهم وقبائلهم فى الهند ليقضوا ما تبقى لهم من العمر فى أوطانهم الأولى وبقى آخرون فى استراليا قيدهم الفقروضيق الحال بعد

أن تدهورت حرفتهم وكسدت تجارتهم فعاشوا يستخفون من الناس هجروا مساجدهم فأصبحت متاحف للسياح .. وتخلوا عن أسمائهم وعاداتهم وأصبحت عقيدتهم وهويتهم ذكريات .. يقول المؤلف : «تستطيع اليوم أن ترى أحفاد الأفغان فى المدارس فلا تكاد تميزهم عن غيرهم من الأطفال الاستراليين فى شئ ، فقد أصبحوا استراليين من كل وجه فى اللون واللغه واللسان» .. فماذا بقى من الأفغان المسلمين فى استراليا ؟ يقول «جورج فارول» : لم يبق من الأفغان اليوم سوى الأسم الذى أطلق على خط السكة الحديدية فى مدينه «أليس سبرنجس» الواقعة فى قلب الصحراء الاسترالية حيث أطلق عليه اسم «ألغان» اعترافا بدورهم فى بناء هذا الخط .. ولكن حتى هذا الاسم كان مثار نقد شديد من بعض الأوساط ، الذين يرون فى هذا الأسم حرجا لارتباطه بأولئك الغرباء الملونين الخشنين ، خاصة بعد أن تطور الخط وأدخلت عليه التكنولوجيا الحديثة وزود بالتكييف وعربات الطعام الفاخرة والخدمات السياحية الممتازة .ومع هذا الاعتراض فبشكل أو آخر بقى اسم «الغان» بخط السكة الحديدية كذكرى أو علامة فى مجرى تاريخ استراليا ، لعل مؤرخا منصفا يأتى فى يوم من الأيام ليكشف عن حقيقة الدور الذى قام به الأفغان المسلمون ويضعهم فى السياق الصحيح لنهضة القارة الاسترالية .

محمد يوسف عدس

مستشار سابق بهيئة اليونسكو

مفتى الجمهورية :

أكد لنا فضيلة الدكتور نصر فريد واصل مفتى الجمهورية أن ما يحدث فى أفغانستان حاليا هو نتيجة طبيعية للصمت والضعف العربى والإسلامى الذى أدى إلى تجرؤ الغرب علينا .. وقال : "لو كنا نملك القوة لما تجرأ أحد على ضرب دولة إسلامية فضلا عن اتهام الإسلام زورا بأنه دين الإرهاب" .

وقال فضيلته : "من غير المقبول أن يعاقب الأبرياء بأفغانستان على أفعال لم يقترفوها" .. ودعا إلى ضرورة التعامل مع قضية أفغانستان وبن لادن فى إطار الشرعية الدولية والأمم المتحدة وأكد أن ما تقوم به أمريكا حاليا والغرب من ورائها هو عنف لن يولد إلا عنفا مضادا .. وطالب المفتى بضرورة الاعتصام والاتحاد بين صفوف الأمة الإسلامية والابتعاد عن الشقاق والخلاف مؤكدا أن ذلك هو الطريق الوحيد للخروج من هذه الأزمة التى تحيط بنا كمسلمين .

الإرهابى الدولى ميلوسيفيتش القاتل الذى شرب من دماء المسلمين

بقلم : سلوى عبد المعبود

هل حقا تصبح محاكمة ميلوسيفيتش موضوع نقاش ونظر ؟!.. هل حقا يمكن أن يوجد من يقول أنه ليس بمجرم حرب ؟!.. هل تصبح دماء عشرات المئات من المسلمين وهتك أعراضهم وتشريد المليونين منهم مجرد أرقام لا تعنى شيئا فى الضمير العالمى الغائب رغم صخبه وعويله ؟!.. هل تصبح جرائمه مجرد ذكريات مأساوية لا تستحق التوقف أو المحاكمة أو العقاب ؟!..

وهل هى جرائم لم تتعد حدود دولته الصغيرة حتى يُقال اليوم .. إن محاكمته تدخل دولى فى شئون داخلية لدولة ما ؟!..

وإذا ما كان الصرب الأرثوذكس يتعالنون اليوم فى مظاهرات صاخبة وعلنية بتكريمه واعتباره (بطلا قوميا) فإن ذلك لا يعنى أن يقوم المجتمع الدولى أيضا بتكريمه وإعفاءه من المحاكمة والعقاب .. رغم كونها محاكمة قولية لن تتعدى لأكثر من سجن مدى الحياة بينما قام هو بسفك دم المسلم سفكا علنيا وحشيا وحرم ضحاياه من مجرد الموت بسلام .

وحين نتلفت اليوم إلى الإعلام الغربى فنجده قد تغافل كارثة المسلمين فى البوسنة وتجاهلها فإننا لن نصاب بأى اندهاش أو صدمة ، إذ أن الهدف النهائى لهذا الإعلام أن يتم نسيان كوارث المسلمين تمهيدا لتكرارها

بصورة أفظع وأشد بشاعة ، ولكن نرصد الإعلام الإسلامى فنجده قد سار على نفس النهج من التجاهل ، والتغافل ، فإننا حتما سنصاب بالإحباط القاتل والصدمة المريعة ، إذ من يبكى الدماء والأعراض والأيتام والضائعين والضائعات فى أرجاء أوروبا القاسية الجامدة إن لم يكن هو الإعلام الإسلامى اليقظ الفطن العامل على تسليط الضوء على المحن الحقيقية للمسلمين تمهيدا لمحاولة القضاء عليها أو حتى مجرد عدم نسيانها حتى لا تتكرر ..

وفى ظل تغافل إعلامى إسلامى لمحنة المسلمين فى البوسنة والهرسك ثم فى كوسوفا فإننا لابد أن نتسائل :

أتحتفظ الذاكرة الإسلامية حقا بما ارتكبه هذا المجرم القاتل من جرائم ومذابح ومجازر ؟!.. أم أن هناك من المسلمين والمسلمات المثقفين والمثقفات من حاملى وحاملات الشهادات العلمية الباهرة من لم يعرف أصلا بجرائم ميلوسيفيتش أو من نساها فى غمرة النسيان الإعلامى ، ومن ثم سنجد من يقول من المسلمين .. لماذا الإصرار على محاكمة الرجل ولماذا الترحيب بعقابه ؟.. وأى جرم ارتكب ؟.

وحتى لا تنس الذاكرة القريبة والبعيدة كارثة لازالت حية دليلها الطفل اليتيم المشرد .. والمرأة المسلمة الضائعة بلا سند ولا معين من المسلمين .. لابد من أن نورد شهادات تاريخية لمذابح البوسنة والهرسك حتى لا يُقال لا يستحق الرجل العقاب .. أو يُقال :

إن المسلمين يبالغون فى وصف مآسيهم ..

● المذبحة المنظمة ضد المسلمين هى الوصف الحقيقى لما يشاهده ويعيشه المسلمون فى البوسنة والهرسك ....(١)

● إن المسلمين فى البوسنة والهرسك يتعرضون اليوم لحملة منظمة مُخططة للإبادة والتهجير والإرهاب .... (٢)

● إن سياسة التطهير العرقى .. (٣) التى يقوم بها الصرب ضد المسلمين قد أوفت بما اندلعت من أجله .... (٤)

● إن هؤلاء الصرب المعتدين ينظرون إلى المسلمين على أنهم ليسوا بشرا ولا يستحقون الحياة ومن ثم لا يعاملونهم بآدمية. (٥)

● يجب على المجتمع الدولى التدخل واتخاذ إجراءات أشد صرامة لحماية البشر فى البوسنة .... (٦)

● إن الصراع فى البوسنة ليس صراعا عرقيا .. إنه إبادة منظمة لشعب البوسنة ، فقد ذُبح البوسنيون وأُغتصبت نساؤهم وقُتل صغارهم .. وقوافل الإغاثة الذاهبة إلى هناك لا تساهم إلا فى تخفيف الألم عن الضمائر الغربية الصامتة عن تلك المجازر.. (٧)

● إن الصرب يقومون بأبشع ما رأى التاريخ من أعمال فظيعة ، إنهم يستأصلون الأجنة من

بطون المسلمات ويزرعون مكانها أجنة الحيوانات وهى عمليات بشعة لم يسبق لها مثيل وفريدة من نوعها .... (٨)

• إنه من المروع حقا تلك الأعمال الدموية البشعة التى يمارسها الصرب ضد المسلمين فى البوسنة ....(٩)

• إن زعماء الصرب العسكريون متهمون بتذكية مشاعر التطهير العرقى واقتراف جرائم حرب بشعة ويجب على العالم محاكمتهم .... (١٠)

• إن عمليات قتل جماعية واغتصاب الآلاف من النساء والتعذيب البشع لكل المعتقلين المدنيين الذين فى يد الصرب هو ما يحدث فى البوسنة والهرسك ...... (١١)

• إن ما يجرى فى البوسنة هو أسوأ صراع دموى تشهده أوروبا منذ الحرب العالمية الثانية .... (١٢)

• إن الاغتصاب يُستخدم كسلاح حاد فى النزاع الدينى فى البوسنة وأن الصرب يستخدمونه كسياسة بالغة الدهاء إذ يستخدمون النساء والفتيات المسلمات كوسيلة لزيادة الكثافة السكانية لهم وإخلال التركيبة السكانية للبلاد وأن الوثائق التى يتم جمعها حول الاغتصاب الجماعى يتم حفظها لتستخدم عند عقد المحاكمات الدولية لمجرمى الحرب ....(١٣)

• ما يفعله الصرب فى البوسنة هو أكثر قساوة وبشاعة مما يتخيله أى عقل بشرى وأن عمليات الاغتصاب تتم بطريقة منظمة وجماعية وعلى خط المواجهة ، وغالبا على مرأى من الأهل مبالغة فى التعذيب والإهانة النفسية .. وأن اغتصاب المسلمات يتم على نطاق واسع جدا لإجبارهن على حمل أطفال من الصرب ويتم حبس المغتصبات فى معسكرات تُحرس بشدة حتى يبلغ الحمل عمرا يصعب معه الإجهاض ثم يُطلق سراحهن بما يحملن فى أرحامهن من أجنة .. إن الصرب يستخدمون الاغتصاب سلاحا بشعا فى حربهم الشرسة ضد المسلمين .... (١٤)

• لا دليل على انتهاء عمليات الاغتصاب البشعة ضد المسلمات من طرف الصرب .. وأن المسئولين فى العالم كله وقوات الأمم المتحدة يتحملون جميعا نفس القدر من المسئولية التى يتحملها المجرمون .. الجميع متورط بشكل أو بآخر فى هذه الجرائم البشعة وأن صمت الجميع عن تلك الجرائم لا يمكن أن يغفره التاريخ .. إنه وصمة عار تدين الجميع .... (١٥)

• إن الدلائل تؤكد اغتصاب (٥٠) ألف سيدة مسلمة فى البوسنة .... (١٦)

• ما يحدث فى البوسنة مجازر ومذابح وعار يتحمله الجميع .... (١٧)

• ما يحدث فى البوسنة إبادة منظمة يزكيها التعصب الدينى .... (١٨)

ولكن ... هل هذه العبارات المفزعة تعادل ما يجرى على أرض الواقع من كوارث ومآسى بشرية ؟.. هل هى تصفها بحقيقتها أم أنها تستبدل الوصف الدقيق بعبارات مبهمة غامضة وتترك للخيال أن يُخمن تلك الجرائم ؟!..

وهل هى فعلا دقيقة ؟!.. وهل يسامحنا شلال الدم المسلم فى البوسنة ثم فى كوسوفا .. لو أننا ذكرنا تلك الشهادات ثم صمتنا فلم نصف الواقع كما كان يحدث ؟!.. وحتى لا يظن قارئ مرهف الإحساس ، عظيم الانتماء للحضارة الغربية ومنخدع بحماية البيئة وحماية الكلاب والدرافيل .. إن ما حدث يمكن التغاضى عنه أو إهماله .. إليكم هذه الحقائق الدامية المرعبة :

• فى سبعة أشهر فقط من بدء المذابح والاعتداءات كانت الاحصائيات - وهى أقل من الواقع - تؤكد :

- قتل ٢٠٠ ألف مسلم موحد

- هدم ١٠٠٠ مسجد

- اغتصاب ٥٠ ألف سيدة وفتاه

- تشريد مليونى مسلم

.... (١٩)

- يؤكد شهود عيان أن مذابح بشعة حدثت فى مدينة بتروفيتش إذ قتل الصرب (٥٠٠) طفل لإرهاب الأهالى وأن الطرقات تمتلأ بجثث القتلى وأن انتقاما بشعا وعشوائيا يُمارس ضد المسلمين وأن الجثث يتم نقلها بالجرافات إلى معامل معالجة جثث الحيوانات النافقة لتُحرق هناك .... (٢٠)

• أطلق الصرب المسلحون وهم يتسابقون نيران المدافع الرشاشة على أتوبيس يحمل أيتاما للمسلمين يجرى إبعادهم عن البلاد .. فكانت النتيجة مقتل طفلين فى الحال وإصابة عشرات بجراح ، وقد صدرت الديلى ميل البريطانية وصفحتها الأولى بها صورة طفل مُنتحب خلف زجاج السيارة وعنوان دامى يقول :

(الآن .. ها هم يقتلون الأيتام) . (٢١)

• يقوم الصرب بسحب الدماء من عروق الأطفال المسلمين حتى يموتون وتجف عروقهم من الدماء ثم تُرسل الدماء الطازجة النقية إلى المستشفيات الصربية لعلاج مرضاهم ، وهذا العمل يتم أمام الأهل لإصابتهم بالجنون

واللوثات العقلية ويشرف على ذلك رادوفان كاراديتش الطبيب النفسى الشهير وزعيم الصرب القتلة .... (٢٢)

● احتمى الأطفال بالمسجد فى قرية كورن كولبا .. فاقتحمه الصرب الأرثوذكس وقتلوا الأطفال جميعا وكان عددهم (١٥٠) طفلا موحدا بالله .... (٢٣)

● قصفت الصرب مستشفى الولادة فى سرايبفو فقتلوا أكثر من مائتى طفل فى الحال وأكثر من خمس وثلاثين امرأة وأكثر من اثنى عشر طبيبا .... (٢٤)

● اجتاح الصرب قرية مزرتشو المسلمة وجمعوا الصغار ووضعوهم فى خلاطات الأسمنت أمام الأهالى الذين فقد أغلبهم النطق أو أصيبوا بالجنون .... (٢٥)

● قتل الصرب الأرثوذكس ألف مسلم ثم فقأت عيونهم ورسمت الصليب على جثثهم بالخناجر وقطعت آذانهم وأنوفهم ثم تركتهم نهبا للحيوانات تلغ فى دماءهم ... (٢٦)

● أغلب الفارين من البوسنة والهرسك مصابون بصدمات عصبية مريعة ومختلفة .. وهذه الصدمات تحدث لموت قريب أو قصف طويل أو افتراق جماعى مفاجئ ، ويعانى أغلب الفارين من أزمات نفسية معقدة ، ومشاكل رهيبة والأطباء يؤكدون (٧٠٪) منهم يعانى الصدمة بسبب اختفاء الديار والأبناء والزوجات ويعيشون وقد فقدوا الإحساس بالمكان أو الزمان وترتفع نسبة الإصابة بالسرطان بينهم نظرا لإحباطهم وانزواءهم عن الحياة .. والأطفال أكثر الفئات تعرضا للضغط النفسى بسبب فقدانهم الإحساس بالأمان الضرورى للنمو الطبيعى والهدوء النفسى المتزن .... (٢٧)

● نفذ الوقود والذى يمول غرف العمليات الجراحية فى المستشفيات إثر القصف الصربى كما نفد الماء النقى وأصبح العثور على الخبز أمرا بالغ الصعوبة ، وتجرى العمليات الجراحية بدون مخدر كما يتم بتر الأعضاء حفاظا على حياة المواطنين ، كما أن الأدوية لا تصل إلى المستشفيات المسلمة نظرا للحصار الصربى ، كما تزايد حالات الإصابة بالجنون واللوثات العقلية نظرا لمعايشة الدماء والأطراف البشرية والجثث فى الطرقات واستمرار القصف والتدمير والحرق .... (٢٨)

● فى أبشع مذابح العصر الحديث وأمام العالم ومسمعه مُسحت وستُمسح من على الخريطة قرى كثيرة كنا ولازلنا نجهل حتى أسماءها وكانت تضم آلاف المسلمين وتستنير بالعشرات من المساجد ، وستساعد حرارة الجو المنخفضة حتى التجمد القوات الصربية على إحكام سيطرتها على المدن الكبرى وسيقطع الجليد الطرق ويصبح وصول الإمدادات

والإغاثة شبه مستحيل إلى المسلمين المحاصرين ، وسيموت أغلب هؤلاء المسلمين إن لم يكن بالذبح والحرق فسيكون جوعا وبردا لإنقطاع الكهرباء والمياه عن المدن .. (٢٩)

ولكن هل حقا أوروبا جادة فى محاكمة ميلوسيفيتش الملعون ؟!..

لقد سبق وسجل للتاريخ مسئولون أوروبيون شرفاء منهم الليدى تاتشر ووزير المواصلات الألمانى وأحد أعضاء الحكومة الأمريكية .. إن أوروبا متواطئة فى عمليات الذبح إذ فرضت حظر التسليح على المسلمين حتى يسهل قتلهم دون ضجيج بينما لم تتكفل بحمايتهم بل فقط بإيصال الطعام إليهم .. ثم لم تلبث أن تراجعت عن ذلك بدعوى أن الصرب احتجزوا بعض جنودها أو قصفوا مكاتبها .. وكان الخاسر الوحيد لتلك المسرحية اللئيمة هم المسلمين ..

ولعل أبلغ وأفضل تحليل لما يحدث ولما حدث هو قول الأستاذ محمد خليفة :

"إن الأمر فى الواقع يُظهر الحقيقة .. وهى أن الصمت الأوروبى والسلبية تجاه الجريمة المروعة وهى إبادة المسلمين فى البوسنة والهرسك قد أظهرت أن القارة الأوربية تواصل سعيها لطرد المسلمين من أرضها أو القضاء عليهم وقبرهم فيها ، وهو سعى متواصل وحثيث بلا انقطاع منذ انهيار الأندلس قبل خمسة قرون ، ومنذ دخول الإسلام البلقان وتأصله فيها وكونه أصبح دين عدد من الشعوب والجماعات المحلية العرقية فيها ، وكأن أوروبا البلقانية تكرر اليوم استراتيجية أوروبا القديمة دون النظر إلى الفوارق الجوهرية بين طبيعة مسلمى الأندلس الذين طُردوا وأُبيدوا بالأمس ومسلمى البلقان الذين هم أقدم شعوب المنطقة واختاروا الإسلام بمحض إرادتهم وقناعاتهم الحرة والدليل ما دفعوه مقابل الإسلام من ثمن باهظ" ...... (٣٠)

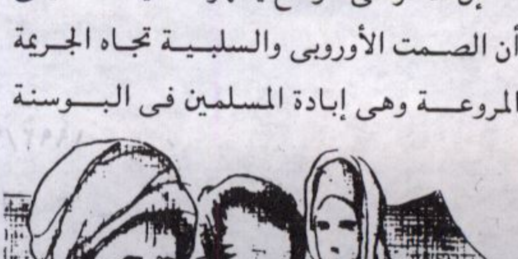

ولا يعنى أننا نُلح على ضرورة محاكمة ميلوسيفيتش أننا نؤمن أن سجنه مدى الحياة هو عقابه العادل .. ولكننا فقط نحاول أن نعرف ونفضح الجرائم الأخرى التى أُرتكبت واختفت لأنها اعتمدت على التواجد القوى للمجرم والانسحاب المنهزم للضحايا .

نريد أن نؤكد للحضارة الأوروبية أنها حضارة الدماء .. لا حضارة السلام .. وأنها حضارة الحيوان لا حضارة الإنسان .. وشئ ما من الضمير المزعوم .. وقليل قليل من العدالة الناقصة ..!!

سلوى عبد المعبود

الهوامش :

١ - الإندبندنت ... ١٩٩٢/٩/١

٢ - الصانداى تلجراف ... ١٨/ ١٠/ ١٩٩٢

٣ - الصحيح القول : التطهير الدينى لأن الذبح كان يقتصر على المسلمين فقط لإزالتهم من البلقان

٤ - موفد الأمم المتحدة لتقصى الحقائق فى البوسنة ... ٢٤/ ١٠/ ١٩٩٢ ... B.B.C

٥ - إيلى راشيل نائبة وزير الخارجية الأمريكى .. صوت أمريكا ٢٤/ ١١/ ١٩٩٢

٦ - مارجريت تاتشر (رئيسة الوزراء البريطانية السابقة) ٢٠/ ١١/ ١٩٩٢

٧ - الإندبندنت أون صانداى ٦/ ١٢/ ١٩٩٢

٨ - نائب ألمانى فى البرلمان الألمانى .. صوت ألمانيا ٩/ ١/ ١٩٩٣

٩ - وزير الخارجية البريطانى السابق .. ١٦/ ١٢/ ١٩٩٢ .. B.B.C

١٠ - وزير الخارجية الأمريكية ... صوت أمريكا ١٦/ ١٢/ ١٩٩٢

١١ - وزير خارجية النمسا ... ٢٧/ ١٢/ ١٩٩٢

١٢ - نيوكلاس داوتى - رويتر - لندن - جريدة العرب ٢٧/ ١٠/ ١٩٩٥ ... B.B.C

١٣ - عن بيان مجلس الكنائس العالمى .. ٢٢/ ١٢/ ١٩٩٢ ... B.B.C

١٤ - برنيدا باتريك - المتحدثة باسم الوفد النسائى الكنائسى المرسل إلى البوسنة

١٥ - المتحدثة باسم منظمة العفو الدولية ٢١/ ١/ ١٩٩٣ .. B.B.C

١٦ - الإندبندنت ٢٨/ ٢/ ١٩٩٣

١٧ - محكمة العدل الدولية ١٣/ ٤/ ١٩٩٣

١٨ - الرئيس مبارك ١٤/ ١٢/ ١٩٩٤ ... B.B.C

١٩ - ٢٩/ ٩/ ١٩٩٢

٢٠ - السابق

٢١ - الديلى ميل ٣/ ٨/ ١٩٩٢

٢٢ - جريدة المسلمون ٢١/ ٧/ ١٩٩٢

٢٣ - مجلة آخر ساعة ٢٤/ ٦/ ١٩٩٢

٢٤ - ٢٧/ ٥/ ١٩٩٢ .. B.B.C

٢٥ - جريدة الشعب ٢٣/ ٦/ ١٩٩٢

٢٦ - جريدة الشعب ٢٢/ ٦/ ١٩٩٢ ، الأخبار ١٧/ ٦/ ١٩٩٢

٢٧ - صوت ألمانيا ١٦/ ١/ ١٩٩٣

٢٨ - مراقبين دوليين ١٤/ ١٢/ ١٩٩٢... B.B.C

٢٩ - صحيفة المسلم الباكستانية ١٨/ ١٠/ ١٩٩٢

٣٠ - "الإسلام والمسلمون فى البلقان" .. محمد خليفة - ط ١ .. ص ٥٣

كان الله فى عوننا :

أزمات مالية تضطر صحفا مصرية معارضة ومستقلة إلى الاحتجاب

احتجبت صحف مصرية حزبية ومستقلة عن الصدور مؤخرا ، فى خطوة هى الأولى من نوعها كشفت عن عمق الأزمات المالية التى تواجه هذه المطبوعات وتهدد بوقف بعضها .

وشملت الظاهرة "الأهالى" الناطقة بلسان حزب التجمع .. و"العربى" الصادرة عن الحزب الناصرى و"الأسبوع" المستقلة ، ولم تواصل الصدور سوى صحيفة "الوفد" .

وعلى رغم أن قرارات الاحتجاب استندت رسميا إلى تزامن مواعيد الإصدار مع أيام العيد ما يحول دون وصول الصحف إلى قرائها إلا أن مصادر تؤكد رغبة حقيقية فى انتهاز الفرصة لتوفير النفقات التى أصبحت ترهق موازنة هذه المؤسسات .

ولا تقتصر الأزمات المالية الناجمة عن حال الانكماش فى السوق المصرية على الصحف الحزبية والمستقلة ، بل امتدت إلى الصحف القومية - شبه الحكومية - غير أن قدرات الأخيرة الضخمة وإمكان حصولها على أشكال مختلفة من الدعم الرسمى أتاح لها الاستمرار.

وتعد صحيفة "العربى" أكثر المطبوعات الحزبية تضررا إذ تواجه أزمات مالية طاحنة كادت تودى بها لولا حصولها على ربع مليون جنيه معونة مالية عاجلة من لجنة شئون الأحزاب لسد رواتب العاملين وتغطية جزء من الديون أتاح لها الاستمرار ، مما دفع مثقفين بارزين للبحث فى تشكيل "لجنة إنقاذ" للصحيفة للحؤول دون انهيارها .

وامتنعت الحكومة عن الاستمرار فى تقديم دعم مالى إلى الصحف الحزبية كان ضمن المخصصات الرسمية فى السنوات الماضية ، موازنات هذه المؤسسات .. ويعتقد القائمون على الأحزاب أن معاودة تقديم الدعم يساهم فى إنهاء الأزمات المتفاقمة .

وتعود أزمات هذه الصحف الحزبية فى جانب منها إلى قلة حصتها من سوق الاعلانات بسبب اتساع حال الركود فى الاقتصاد الوطنى أخيرا .

وتحدثت بعض المصادر عما أسمته "حصارا متعمدا" للتأثير فى إمكانيات الاستمرار ، إلا أن امتداد "أزمة الإعلانات" إلى الصحف القومية أثار جدلا حول تأثير هذا العامل فى المؤسسات الحزبية .. ومن المعروف أن مجلة اليسار الشيوعية قد توقفت عن الصدور مؤخرا بعد استمرارها لمدة عشر سنوات .

آخر الكلام

العلة

قال لى الطبيب :
خذ نفسا
فكدت - من فرط اختناقى
بالأسى والقهر - أستجيب
لكننى
خشيت أن يلمحنى الرقيب
وقال : مم تشتكى ؟
أردت أن أجيب
لكننى
خشيت أن يسمعنى الرقيب
وعندما حيّرته بصمتى الرهيب
حاول رفع هامتى
لكننى خفضتها
ولذت بالنحيب
قلت له : معذرة يا سيدى الطبيب
أود أن أرفع رأسى عاليا
لكننى
أخاف أن .. يحذفه الرقيب !

أحمد مطر